

الفصل الرابع  
أشهر خطب التاريخ العربي

obeikandi.com

## خطب العصر الجاهلي

ومن مشهوري العرب الجاهليين في الخطابة قيس بن خارجة بن سنان، خطيب داحس والغبراء<sup>(1)</sup>، وفي هذه الموقعة اشتهر خويلد بن عمرو الغطفاني بخطبه في حرب الفجار<sup>(2)</sup>، وقس بن ساعدة الأيادي<sup>(3)</sup> خطيب عكاظ، وأكثم بن صيفي<sup>(4)</sup>، والحارث ابن عباد<sup>(5)</sup>، وقيس بن مسعود<sup>(6)</sup>.

- (1) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس، راهن بهما حذيفة بن بدر ليسابق فارسه الخطار والحنفاء، وقد سبقت الغبراء فردها كمين كانت فزارة قد أعدته، فتخلفت، وقامت بذلك حرب بين عبس وفزارة، ثم امتدت إلى حرب بين عبس وذبيان، وقصص هذا الحادث طويل يحسن أن ترجع إليه في كتب الأدب.
- (2) حرب نشبت بين ريش وهوازن - سميت بذلك لأنهم تفاجروا فيها، وكانت في الأشهر الحرم، وقد شهدها رسول الله ﷺ، وكان ينبل على أعمامه فيها، أي يقدم لهم النبل.
- (3) أشهر خطباء العرب الجاهليين على الإطلاق، كان يدين بالتوحيد ويؤمن بالبعث، ويدعو إلى نبذ عبادة الأوثان، يقال إنه أول من قال: «أما بعد»، وأول من اتكأ على عصا أو نحوها، وكان حسن الألفاظ واضح العبارة، وكان الناس يتحاكمون إليه ويرضون حكومته، وهو القائل: «البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر» تلك العبارة التي رضيها الإسلام وأقرها.
- (4) من الخطباء البلغاء المولعين بسرد الحكم وضرب الأمثال، أوفده النعمان بن المنذر رئيساً على وفد من الخطباء إلى كسرى، فأعجب به، وقال له: لو لم يكن للعرب غيرك لكان ذلك كافياً لهم، وخطبه أمام كسرى مليئة بالحكم والأمثال.
- (5) من الخطباء البلغاء له مواقف محمودة في حرب داحس والغبراء، وله فيها شعر جيد أيضاً وهو من قبيلة بكر.
- (6) قيس بن مسعود بكري أيضاً، من الخطباء ومن الأجواد الكرماء، كانت العرب جميعاً تقر له بالفضل والسيادة، كان له حظيرة بها مائة من الإبل مخصصة للأضياف تقيده واحدة منها للنحر، فإذا نحرت قيدت أخرى - وهؤلاء جميعاً شرفاء كرماء تدل مواقفهم على أن العرب كانت تتأثر بمكانة الخطيب الاجتماعية.

## خطبة المأمون الحارثي (1)

قعد المأمون الحارثي في نادي قومه، فنظر إلى السماء والنجوم وفكر طويلاً ثم

قال:

«أرعوني أسماعكم، واصغوا إلي بقلوبكم، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد: طمح<sup>(2)</sup> بالأهواء الأشهر<sup>(3)</sup>، وران على القلوب الكدر<sup>(4)</sup>، إن فيما نرى لمعتراً لمن اعتبر، أرض موضوعة، وسماء مرفوعة، وشمس تطلع وتغرب، ونجوم تسرى فتعزب، وقمر تطلعه النحور<sup>(5)</sup>، وتمحقه أديار الشهور<sup>(6)</sup>، وعاجز مثر، وحول<sup>(7)</sup> مكد، وشاب محتضر<sup>(8)</sup> ويفن قد غبر<sup>(9)</sup>، وراحلون لا يؤوبون، وموقوفون لا يفترون، ومطر يرسل بقدر، فيحيي البشر، ويورق الشجر، ويطلع الثمر، وينبت الزهر، وماء يتفجر من الصخر الأير<sup>(10)</sup>، فيصدع المدر عن أفنان الخضر، فيحيي الأنام، ويشبع السوام<sup>(11)</sup>، وينمي الأنعام، إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر، البارئ المصور.

يا أيها العقول النافرة<sup>(12)</sup>، والقلوب النائرة<sup>(13)</sup>، أنى تؤفكون<sup>(14)</sup>، وعن أي سبيل تعمهون<sup>(15)</sup> وفي أي حيرة تهيمون، وإلى أي غاية توفضون<sup>(16)</sup> وكشفت الأغطية عن

- (1) يروي المأمور الحارثي بالراء أيضاً.
- (2) طمح ذهب، والطماح ككتاب، النشوز والجموح.
- (3) الكبر والبطر، أي أن الكبرياء ضللت الناس.
- (4) ران: غطى، والكدر للغم والكدر.
- (5) نحر النهار والشهر أوله، يريد قمر تطلعه أوائل الشهور.
- (6) تمحوه أوأخر الشهور، فينحل ثم يختفي.
- (7) الحول: الشديد الاحتيال أي الذي يحاول محاولات كثيرة، يقال: حول بالثديد وبفتح الواو كصرد، وحولة - كهزمة بسكون الواو وفتحها: فقير لا مال معه.
- (8) محتضر بالحاء حضرته الوفاة، وبالحاء المعجمة: ميت في فتوته، يقال اختضر الشخص: إذا مات في شبابه.
- (9) اليفن: الشيخ الممن.. وغبر عاش وبقي. يقال غبر بمعنى مات وعاش. والغابر الماضي والمقبل.
- (10) الصلب الشديد.
- (11) الماشية التي تسام وترعى.
- (12) الجامعة التي لا تريد أن تأنس وتفكر.
- (13) أي ذات النائرة. والنائرة العداوة أو هو وصف بالمصدر مثل زيد عدل.
- (14) إلى أي اتجاه ينصرفون. من أفك يأفك.
- (15) من عمه بمعنى تحير. يعجب كيف يتحiron في البحث عن الطريق الحق وهو واضح أمامهم.
- (16) تسرعون، من أوفض.

القلوب، وتجلت الغشاوة عن العيون، لصرح الشك عن اليقين<sup>(1)</sup>، وأفاق من نشوة الجهالة من استولت عليه الضلالة».

## خطبة قس بن ساعدة<sup>(2)</sup>

لقس بن ساعدة خطبة مشهورة سمعها منه رسول الله ﷺ وهو يخطبها في سوق عكاظ، وأعادها أمامه رجل من أياد، فاكتبت بذلك شهرة، وهي أيضاً من الخطب المبشرة بظهور الإسلام.

قدم وفد أياد على رسول الله ﷺ عام الوفود، فسألهم عن قس فقالوا: مات. فقال: «كأنني أنظر إليه بسوق عكاظ في جمل له أورق<sup>(3)</sup> وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه». فقال رجل من الوفود: أنا أحفظه. قال رسول الله ﷺ: «كيف سمعته يقول؟» قال سمعته يقول:

«أيها الناس: اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات<sup>(4)</sup>، وكل ما هو آت آت<sup>(5)</sup>، ليل داج<sup>(6)</sup>، ونهار ساج<sup>(7)</sup>، وسماء ذات أبراج<sup>(8)</sup> ونجوم تزهـر<sup>(9)</sup>، وبحار تزخر<sup>(10)</sup>، وجبال مرسة، وأرض مدحاة<sup>(11)</sup>، وأنهار مجرأة، إن في السماء لخبراً<sup>(12)</sup>، وإن في الأرض لغيراً<sup>(13)</sup>، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا، يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه، إن لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من

- (1) صرح عنه: تكشف عنه، أي لو فكرتم لانكشف الشك وتجلي اليقين.
- (2) تقدمت ترجمة له.
- (3) أبيض في سمرة - رمادي اللون.
- (4) ذهب ولا يعود.
- (5) ما هو مقدر لا مفر منه.
- (6) مظلم.
- (7) ساكن منتشر.
- (8) البرج: صورة من مجموعة كواكب تشبه صورة حيوان أو غيره، ويسمى الفلكيون بأسماء أشكالها. فيقولون برج الجدي والثور والحوت والدلو... والأبراج اثنا عشر برجاً تقابلها الشمس على طول السنة، ويظهر أن قساً يتحدث عن النجوم بوجه عام.
- (9) نضيء.
- (10) مليئة بالماء تظمي به وترتفع.
- (11) مبسوطة، والفعل ثلاثي واسم المفعول منه مدحو. وجاءت الكلمة مدحاة لمشاكله أخواتها.
- (12) دليلاً على خالق عظيم.
- (13) عظات وخيرات.

دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً.  
ثم أنشأ يقول:

في الزاهبين الأولي - من القرون لنا بصائر  
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر  
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقيين غابر<sup>(1)</sup>  
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

وقد جاءت هذه الخطبة بروايات تزيد وتنقص، والذي - وعلى فرض انتحال كل هذه الخطب - نجد فيها سمات الخطب الجاهلية، لأن واضعها تحرى جهده أن يجعلها مشابهة لطريقتهم حتى تجوز على الناس، واختلاف روايات الخطب دليل على أنها زيد فيها، وليست الخطبة الواحدة من صنع شخص واحد.

### خطبة كعب بن لؤي

وخطبة كعب بن لؤي تجري على نسق الخطبتين السابقتين وهي:

«اسمعوا وعوا، وتعلموا تعلموا، وتفهموا تفهموا، ليل ساج، ونهار ضاج<sup>(2)</sup>، الأرض مهاد، والجبال أوتاد، والأولون كالآخرين، كل ذلك إلى بلاء، فصلوا أرحامكم وأصلحوا أموالكم، فهل رأيتم من هلك رجع؟ أو ميتاً نشر؟ الدار أمامكم، والظن خلاف ما تقولون، زينوا حرمكم وعظموه، وتمكوا به ولا تفارقوه، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم».

ثم قال أربعة أبيات من الشعر منها:

تهاويل ليل واختلاف حوادث سواء علينا حلوها ومريرها  
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها  
وهي ظاهرة الوضع، ولا تحتاج إلى تفنيد.

### من خطبة أكنم بن صيفي أمام كسرى

«إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكهم، وأفضل الملوك أعمها نفعاً،

(1) مقيم، يريد أن الناس يذهبون للموت ولا يرجعون.

(2) ضاج بالجيم مخفف صاج - اسم فاعل من ضج، أي نهار مليء بالعمل والحركة.

وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها، الصدق منجاة، والكذب مهواة<sup>(1)</sup>،  
والشر لجاجة<sup>(2)</sup>، والحزم مركب صعب<sup>(3)</sup> والعجز مركب وطىء، آفة الرأي الهوى،  
والعجز مفتاح الفقر<sup>(4)</sup>، وخير الأمور الصبر، وحسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة،  
إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي<sup>(5)</sup>، من فسدت بطانته<sup>(6)</sup> كان كالغاصّ  
بالماء<sup>(7)</sup> شر البلاد بلاد لا أمير بها، شر الملوك من خافه البريء، المرء يعجز لا  
المحالة<sup>(8)</sup>، أفضل الأولاد البررة، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة، أحق الجنود  
بالنصر من حنت سريرته، يكفيك من الزاد ما بلغك<sup>(9)</sup>، حسبك من شر سماعه<sup>(10)</sup>،  
الصمت حكم<sup>(11)</sup> وقليل فاعله، البلاغة الإيجاز، من شدد نفر<sup>(12)</sup> ومن تراخى<sup>(13)</sup>  
تألف.

ومن خطبه المشهورة خطبة له يدعو بها قومه إلى الإسلام وينصحهم باتباع نبيه،  
وذلك أنه لما ظهرت دعوة الإسلام بعث أكثم ابناً له يدعى حبشاً فأتاه بخبره وموقف  
قومه منه وما يدعوهم إليه، فدعا أكثر قومه في جمع ثم دعاهم إلى اتباع دعوة الإسلام،  
ولكن مع هذا لم يقطع الرواة بإسلامه. ومما قاله لقومه في هذا الموقف:

«يا بني تميم: لا تحضروني سفيهاً<sup>(14)</sup>، فإنه من يسمع يخل<sup>(15)</sup>، إن السفية يوهن  
من فوقه، ويثبط من دونه، لا خير فيمن لا عقل له، كبرت سني ودخلتني ذلة<sup>(16)</sup>، فإذا

- (1) سبب السقوط والفشل.
- (2) يريد أصل الشر هي اللجاجة. وهي تماحك الخصمين وتماديهما.
- (3) الأخذ بالحزم والحكمة أمر صعب لا يتأتى لكل شخص.
- (4) يريد بالعجز عدم الاحتيال.
- (5) الراعي الصالح لا يستطيع إصلاح الرعية الفاسدة، ولكن الرعية الصالحة تحمل الحاكم على الصلاح. وهذا رأي أكثم، ويؤخذ على إجماله، وربما يريد أنه أسهل.
- (6) حاشيته ومخالطوه.
- (7) كمن يشرق بالماء. والغصة: وقوف الطعام في الحلق. ومن غص بشيء أزال غصته بالماء. ومن غص بالماء كان أمره عسيراً.
- (8) المحالة: الحيلة والمحاولة.
- (9) ما يكفيك في سفرك حتى تصل إلى موطنك - ينصح بالقناعة.
- (10) الإنصات إلى الشر شر، وهو قدر كاف، فلا يجوز المشاركة بالعمل.
- (11) حكمة.
- (12) من تشدد نفر الناس منه.
- (13) تهاون وتبسط.
- (14) السفية: ضعيف العقل والتفكير.
- (15) من يسمع كلام السفية يظنه حقاً.
- (16) وهن وضعف.

رأيتم مني حسناً فاقبلوه، وإن رأيتم غير ذلك فقوموني أستقم. إن ابني شافه هذا الرجل وأتاني بخبره، وكتابه يأمر فيه بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى، وخلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران، وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه، إن أحق الناس بمعونة محمد ﷺ ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلاً كنتم أحق الناس بالكف عنه وبالستر عليه، وقد كان أسقف نجران يحدث بصفته، وكان سفيان بن مجاشع يحدث به قبل، وسمى ابنه محمداً، فكونوا في أمره أولاً، ولا تكونوا آخراً، اثتوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين، إن الذي يدعو إليه محمد ﷺ لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً، أطيعوني واتبعوا أمري. أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبداً، وأصبحتم أعز حي في العرب، وأكثرهم عدداً، وأوسعهم داراً. فإني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا ذل، ولا يلزمه ذليل إلا عز، إن الأول لم يدع للأخر شيئاً، وهذا أمر له ما بعده، من سبق إليه غمر المعالي واقتدى به التالي، العزيمة حزم والاختلاف عجز».

فقال مالك بن نويرة: قد خرف شيخكم.

فقال أكتم: ويل للشجي من الخلي، والهفي على أمر لم أشهده ولم يسبقني.

وموقف مالك معروف في الإسلام.

وهذه الخطبة مما تظمن النفس على صحتها.

# خطب العصر الإسلامي

## أشهر الخطب في التاريخ

### خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّ فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحُتُّكم على طاعة الله، وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أبيعن لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا! أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت، اللهم اشهد!.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها؛ وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب؛ وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود<sup>(1)</sup>، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يشس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

(1) القود: القصاص.

أيها الناس: إنما النسيء<sup>(1)</sup> زيادة في الكفر يُضِلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونَه عاماً ويحرّمونه عاماً ليُواطِئوا عدّة ما حرّم الله. وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله خلق الله السموات والأرض، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

ألا هل بلغت، اللهم اشهد!

أيها الناس: إنّ لنسائكم عليكم حقاً، وإنّ لكم عليهن حقاً: لكم عليهنّ أن لا يُوطئنَ فرشكم غيركم، ولا يُدخلنَ أحداً تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة؛ فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضلوهن<sup>(2)</sup> وتهجروهنّ في المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مبرّح؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف.

وإنما النساء عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله؛ فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنّ خيراً. ألا هل بلغت، اللهم اشهد!

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفسه. ألا هل بلغت، اللهم اشهد! فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض؛ فإنني تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلّوا بعده: كتاب الله وأهل بيتي، ألا هل بلغت اللهم اشهد.

أيها الناس: إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد؛ كلکم لآدم وادم من تراب، أكرمکم عند الله أتقاکم؛ ليس لعربيّ على عجمي فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس: إن الله قَسَمَ لكل وارث نصيبه من الميراث؛ ولا يجوز لو ارث وصية في أكثر من الثلث؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر؛ من دُعِيَ إلى غير أبيه، أو تولى غير موالیه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً<sup>(3)</sup> ولا عدلاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

(1) النسيء: التأخير، والنسيء: تأخير حُرمة شهر المحرم إلى صفر زمن الجاهلية لكي يتباح القتال فيه.

(2) عضل عليه: ضيق عليه ومنعه.

(3) الصّرف: الفضل والزيادة.

## أول خطبة دعا بها قومه بمكة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تتيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها للجنة أبدأ، أو النار أبدأ».

فانظر إلى هذه الكلمات الوجيزة كيف رتبت واتصلت حلقاتها حتى انتهت إلى الغرض الذي تريد، وليس بها تكرار ولا حشو. بدأت بأن الرائد - أياً كان - لا يكذب، وهو نفسه معروف بالصدق والأمانة، فقد اجتمع له ما يزيد صدقه تأكيداً، ثم أكد ذلك ثانياً بأنه لو جاز أن يكذب فإنه لا يجوز له أن يكذب عليهم، لأنهم أهله وعشيرته، ثم زاد ذلك كله ليصدقوه أنه مرسل من الله، وهو مرسل لهم خاصة لأنهم أهله يحمونه ويشرفون برسالته، ورسول إلى الناس جميعاً، فهي رسالة عامة. ثم حدثهم عن البعث بعد الموت والحساب على الأعمال - وهذا مفتاح الرسالة الإسلامية - فمن آمن بذلك سعى لمعرفة ما ينجمه ويرفع درجته.

## خطبة أخرى له ﷺ

«أيها الناس: إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم<sup>(1)</sup>، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم<sup>(2)</sup>، إن المسلم بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت. فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب<sup>(3)</sup>، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

## خطبة أخرى

«أيها الناس: كأن الموت على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأنه الذي نشيع من الأموات سفر<sup>(4)</sup> عمّا قليل إلينا راجعون، نبوئهم

(1) جمع مَعْلَم: ما يستدل به كالعلامة.

(2) تذكروا أنكم ستموتون.

(3) عتاب. مصدر ميمي.

(4) كشرّب وركب بمعنى مسافرون.

أجدائهم<sup>(1)</sup>، ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، ونينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالا اكتبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن زكت<sup>(2)</sup> وحنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة».

## وأول خطبة له ﷺ بالمدينة

«أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن<sup>(3)</sup> والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك؟ وأتيتك مالا، وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل. ومن لم يجد فكلمة طيبة، فإنها تجزي<sup>(4)</sup>، الحنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف<sup>(5)</sup>، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمته وبركاته».

## خطبته ﷺ في الاستسقاء

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ في عام جذب فوقف أمامه وقال: أتيناك يا رسول الله، ولم يبق لنا صبي يرتضع ولا شارف<sup>(6)</sup> تجتر، ثم أنشد:

أتيناك والعذراء يدمي لبانها      وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل<sup>(7)</sup>  
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة      من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي<sup>(8)</sup>

(1) جمع جدث وهو القبر.

(2) طهرت.

(3) بفتح العين وتشديد اللام بمعنى تعلموا واعلموا.

(4) بالبناء للمفعول.

(5) الضعف المثل، ويقولون أيضاً: لك ضعف هذا أي لك مثلاه.

(6) الشارف: الناقة المسنة الهرمة، ويقال شارقة، والجملتان كناية عن الجوع، والأنعام تجتر ما في بطنها، فإذا خلا بطنها فلا اجترار.

(7) اللبان - بفتح اللام: الصدر - وهو يدمي لأن الصبية امتهنت بالعمل لعدم قدرتها على استئجار خادم. فهي كناية عن الفاقة والفقر. وشغل أم الرضيع عنه من هذا لأنها تعمل ولا تستطيع التفريغ له.

(8) ألقى بكفيه أي استسلم وعجز عجزاً تاماً، وما يمر ولا يحلي، أي لا يستطيع أن يعمل ما يضر أو ينفع.

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الغسل<sup>(1)</sup> وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً<sup>(2)</sup> هنيئاً مريئاً<sup>(3)</sup> سحاً سجالاً<sup>(4)</sup> غدقاً<sup>(5)</sup> طبقاً<sup>(6)</sup> ديماً<sup>(7)</sup> درراً<sup>(8)</sup>، تحيي به الأرض وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سقياً نافعة، عاجلاً غير راث<sup>(9)</sup>».

فما رد رسول الله ﷺ يده إلى نحره حتى ألقى السماء أوراقها<sup>(10)</sup> وجاء الناس يضحون: الغرق الغرق يا رسول الله.. فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا». فانجاب<sup>(11)</sup> السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه<sup>(12)</sup>.

### قبس من البلاغة النبوية

بجانب ما ذكرنا من خطبه ﷺ القصيرة، نذكر بعضاً من أحاديثه البليغة الموجزة، ففيها بجانب التبرك بكلامه مدد للخطيب، ونماذج بلاغية تحتذى، وبعض هذه الأحاديث يمكن أن يكون وحده موضوع خطبة، وليحاول دارسو الخطابة أن يتخذوا بعضاً منها موضوعاً للتدريب، ومحاولة لإنشاء خطبة محورها بعض هذه الأحاديث.

- (1) العامي: الذي أتى عليه عام، والحنظل: مر المذاق، والعلهز: طعام من الدم والوبر كانوا يأكلونه في الجاهلية أيام المجاعة وقد أكلته قريش حين دعا عليهم رسول الله أن يجدوا سنين كني يوسف، والغسل: الرديء.
- (2) المغيث: المنقذ، ماريء: السائق.
- (3) خصباً، أي يكسب الأرض خصوبة.
- (4) السجل: النصيب، الدلو المملوءة كعظيمة، فالسجال العظيم والتداول الذي ينال كل بلد منه نصيب، كما يقال حرب سجال أي ينال كل من صاحبه مرة ويهزم أخرى.
- (5) الغزير: الكثير.
- (6) يطبق الأرض ويملوها.
- (7) أي يدوم حتى يروي.
- (8) جمع درة بكسر الدال، من در السحاب. ودرته: انصبابه واندفاعه.
- (9) غير مبطل.
- (10) صبت مطرها غزيراً.
- (11) تكشف وتزحزح.
- (12) النواجذ: أقصى الأضراس.

## 1 - قال ﷺ للأَنْصار:

«إنكم لتكثرُونَ عند الفزع وتقلون عند الطمع».

يريد أنهم كانوا يأتون كثيراً عند النداء للحرب، وحين اشتداد المعركة ولكنهم عند توزيع الغنائم كانوا يبدون العفة فلا يحضر إلا القليل. فالمراد بالفزع حالة الحرب، والفزع في الأصل الخوف والرهبه.

## 2 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«خير المال سكة مأبورة، وفرس مأمورة».

ومعناه: أفضل ما يملك الشخص نخيل مثمر وفرس نتوج. . فكلاهما يأتي بالخير الكثير على الجهد القليل. ولا يشغل وقت صاحبه، والسكة هي الصف الممتد من النخل. . والمأبور الملقح بطلع الذكر. يقولون أبر النخل وأبره، والمراد النخيل الصالح للأثمار، والفرس المأمورة الكثيرة النتاج، من أمر الله مال الرجل وأمره بمعنى: نماء وزاد فيه.

## 3 - وقريب من هذا الحديث قوله ﷺ:

«نعمت العمة لكم النخلة تغرس في أرض خواره، وتشرب من عين خواره».

فالنخل من أوفر الأشجار ثمراً، وهو شجر صحراوي تمتد جذوره في الأرض ويمتص الماء من بعد ويصبر عليه، والأرض الخواره الرخوة السهلة، والعين الخواره التي يجري ماؤها أو ينطف، والجملتان للدلالة على أنها لا تكلف جهداً. وسميت النخلة عمة لأنها ذات فضل تستحق به أن تكرم. وجاء فيها أيضاً: «أكرموا عمكم النخلة».

وفي حديث عبد الله بن عمر:

«إن من الشجر شجرة تشبه المؤمن وأنها لا يسقط منها أبلمة».

والأبلمة الورقة - حوصة النخلة. أي أنها كثيرة النفع لا يذهب منها شيء بغير فائدة. ينتفع بجذعها وسعفها وخصوها وعذقها وبلحها. وقال عن النخيل أيضاً: «المطعمات في المحل الراسخات في الوحل».

أي أن بلح النخيل يصلح طعاماً وغذاء، في أوقات الجذب، وقلة الطعام، ومع ذلك تمتد جذوره في التراب لا يكلف صاحبه إصلاح أرض ولا إمداداً بماء.

#### 4 - وقال ﷺ:

«نهيتكم عن عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات».

ويروى الحديث أيضاً: «إن الله كره لكم عقوق الأمهات»، والمنع يراد به منع ما يعطى عادة من الصدقة والمساعدة، وكلمة «هات» تعني الطلب، أي كره لكم أن تمنعوا عونكم وتطلبوا عون الآخرين، فهذا مناف للمروءة.

#### 5 - ومن ذلك قوله ﷺ:

«لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى الثالث، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب».

وهو تصوير لشره الناس على جمع المال، حتى لو كان للشخص واديان مليتان بالذهب ما قنع ولا اكتفى، ولا تزال عينه تتطلع إلى مزيد حتى يموت ويدفن. ويروى أيضاً: «ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب».

#### 6 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«ما قل وكفى خير مما كثر وألهى».

وهو تأديب وتربية للغرائز البشرية، فالمال القليل الذي يكفي حاجة الإنسان ولا يبطره خير من الكثير الذي ينسيه واجبه نحو الله.

#### 7 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، يتقون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

والمراد بالعلم هنا علم الدين والسنة، يقوم عليه في كل جيل قوم ذوو عدل وفهم وخشية من الله. فيوضحون معانيه الحقيقية، ويبعدون تأويل المتأول. والخلف - بفتح اللام - الجيل والقوم يأتون بعد سابقهم - بسكون اللام - يكون للجيل السيء الفاسد - كما في قوله تعالى: ﴿كَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ [مريم: 59].

وفي كل عصر تجد مشاكل وتظهر تيارات فكرية كثيرة ما يلجئ الناس إلى تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتسع لها. كما نجد في وقتنا كثيرين يحلون فائدة

الأموال التي بالبئوك أو صناديق التوفير أو التأمين على الحياة، ويتأولون لذلك عللاً كثيرة، إما غلواً منهم أو جهلاً أو تعمداً لعمل الباطل، ولكن توجد قلة تصمد للدفاع عن الحق.

## 8 - وقال ﷺ:

«لا يوردن مجرب على مصح».

والمجرب صاحب الإبل الجربى، يقولون أجرب فلان أي ظهر الجرب في إبله، والمصح ذو الإبل الصحيحة، أي لا يخلط إبله الجربى بالأخرى فتعديها، ومثله من الحديث أيضاً: «إذا نزل الوباء بأرض فلا تدخلوه، وإذا كان أحدكم به فلا يخرج إلى غيره». وهذا من نصائحه ﷺ في انقاء العدوى.

## 9 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة».

ويروى الحديث: «كالإبل مائة لا تجد فيها راحلة»، ويروى: «كإبل مائة لا تجد فيها راحلة». أي أن خيار الناس قليلون. وأراذلهم هم الكثرة الفاشية. والراحلة من الإبل: البعير النجيب التام الخلق الجلد القوي على الأسفار، و«أل» في الإبل للجنس، فما بعدها صفة - أي هم كالإبل التي بهذه الصفة.

## 10 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«إياكم والمشاركة فإنها تميم الفرقة، وتحبي العرة».

والمشاركة: المخاصمة والمجادلة، والفرقة: المنقبة والصفات الحنة، والعرقة: المثلبة التي تجلب العار، فمخاصمة الشخصين تدعو كل واحد منهما أن يذكر معائب صاحبه، ويغفل ماله من مأثرة، فأحرى بعقلاء الناس ألا يشاروا، ولا يخاصموا، ولما دخل السائب بن صيفي على رسول الله قال: أتعرفني؟ قال ﷺ: «كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يشاريني ولا يماريني؟»<sup>(1)</sup>.

(1) كان السائب شريك رسول الله ﷺ في الجاهلية. ولا يشاري - أي لا يشار ويأتي بشر، ولا يماري: لا يخاصم ويجادل.

## 11 - وقال ﷺ:

«دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا أقول حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا، ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام وصلوا الأرحام».

والحسد أن يستكر الشخص نعمة أنعمها الله على غيره، فتود نفسه لو أنها زالت عنه، وهي تحسب الكراهية. وهذا الخلق يعارض تعاليم الدين ويجتثها من نفس صاحبه، كما تحلق الآلة الشعر، وهو داء قضى على الأمم السابقة، ومعنى دب فيكم: يوشك أن يدب بينكم، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: 1].

## 12 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«لو تكاشفتم ما تدافتم».

ويفسر بوجهين، قيل لو كشفتم ما تكشفونه في أنفسكم، وأبديتم سرائركم ما استطعتم بعد ذلك أن تخفوا سراً وتدنفوه. فهو نهى عن إفشاء الأسرار وإذاعتها، وقيل: لو علم بعضكم ما يكنه له الآخر وما تخفي سريرته له، لثقل عليه أن يشيع جنازته، وأن يوسده قبره. ومعنى هذا أننا لا ينبغي أن نكلف الناس شيئاً فوق طاقاتهم، ولا أن نحاول التعرف على ما يكون لنا، بل نصحبهم على علاقتهم.

## 13 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«إني لأعطي رجلاً وأدع من هو أحب إلي منهم لا أعطيه شيئاً مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم».

وهذا يبين مدى حرصه ﷺ على هداية أمته ونجاتها من النار، فهو يعطي ضعيف الإيمان يتألف قلبه حتى يتمكن الإيمان من نفسه، ويمنع غيره وهو أحب إليه لأنه وكله إلى إيمانه ودينه، ولو منع ضعيف الإيمان لأبعد عن الإسلام ومات كافراً فيكبه الله في النار. يقال كبه بمعنى ألقاه في النار، فأكب هو: أي هوى وسقط.

## 14 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة».

قيل لرسول الله ﷺ: ادع على المشركين. وقيل: قيل له: ادع على بني عامر، لأنهم آذوه، وكانوا مشركين، فذكر هذا الحديث.

هذا تأديب منه ﷺ، لا يشتم أعداءه الذين آذوه. ولهذا جاء في الحديث أيضاً: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعاناً». وجاء: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء».

## 15 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ينتزعه من الصدور، ولكن ينتزع العلم بنزع العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس علماء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا، وأضلوا».

وهذا حديث ذو أهمية للداعية الإسلامي، لأنه يحتم عليه التثبت من علمه والاستزادة منه.

## 16 - وقال عليه الصلاة والسلام:

«الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن» . . .

والمراد بالفتك: الاعتداء والخيانة، والإسلام يقيد المسلم أن يفتك بغيره، فهو مانع منه كما يمنع الدابة أن تذهب أو تمرح في مرعى غيرها، ولا «يفتك» برفع الفعل المضارع - أي أن شأن المؤمن أنه لا يفعل ذلك.

ومن قوله ﷺ عن جواد سابق: «ما هو إلا بحر»، وقيل إنه قال: «إن وجدناه لبحراً»، أي هو يموج في جريه بسهولة كما يندفع ماء البحر، وقد كان رسول الله ﷺ يحب الخيل فجاء فرس له سابقاً، فقال هذا الحديث، وفيه قال عمر بن الخطاب: كذب الحطيئة حيث يقول:

وإن جياذ الخيل لا تستفزننا ولا جاعلات العاج فوق المعاصم<sup>(1)</sup>

وقال بعض العلماء: لم يستفز رسول الله ﷺ سبق فرسه، ولكنه أراد إظهار حب الخيل وتعظيم شأنها.

(1) لا يرهبنا المحاربون ولا تستميلنا حسان النساء.

## من خطب خليفة رسول ﷺ الله الأول أبو بكر الصديق

خطب أبو بكر يوم القيفة: حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادةً في العرب، وأمتهم رحماً برسول الله ﷺ؛ أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْكُمْ أُولُو الْأَرْحَامِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: 100]؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفياء، وأنصارنا على العدو؛ أويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفُسُوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله.

وخطب أيضاً: حمد الله وأثنى عليه. ثم قال:

أيها الناس: إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني، وإن رأيتُموني على باطل فسدّدوني؛ أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم. ألا إن أقوامكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه! أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وخطب أيضاً فقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره، وأومن به، وأتوكل عليه وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، ومن الشك والعمى؛ من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو حي لا يموت، يعزُّ من يشاء ويُذلُّ من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله

بالهدى ودين الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ - إلى الناس كافة، رحمة لهم وحنة عليهم، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فرية<sup>(1)</sup>، فأعز الله الدين بمحمد ﷺ، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]؛ فأطيعوا الله ورسوله، فإنه قال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80].

أما بعد أيها الناس: إني أوصيكم بتقوى الله العظيم، في كل أمر وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، وإياكم والفخر؛ وما فخر من خلق من تراب وإلى التراب يعود، هو اليوم حيّ وغداً ميت! فاعملوا وعُدُّوا أنفسكم في الموتى. وما أشكل عليكم فردُّوا علمه إلى الله وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحَضَّرًا، فإنه قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَعْرُضُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30] فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم، صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله إنه غفور رحيم، فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56] اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك، أفضل ما صليت على أحد من خلقك؛ وزكنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرة، وأوردنا حوضه، اللهم أعننا على طاعتك وانصرنا على عدوك.

(1) الفرية: الكذبة.

## من خطب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خطب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت مُعَاذَ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني؛ فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً: إني بادىء بأزواج رسول الله ﷺ فمعطيهم، ثم المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، أنا وأصحابي ثم بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء، فلا يلومنَّ رجل إلا مُناخ راحلته. إني قد بقيتُ فيكم بعد صاحبي، فابتليتُ بكم وابتليتُم بي، وإني لن يحضرنني من أموركم شيءٌ فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة، فلئن أحسنوا لأحسننَّ إليهم، ولئن أساءوا لأنكَلنَّ<sup>(1)</sup> بهم.

### وخطب عند توليه الخلافة:

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أيها الناس: إني داع فأمّنوا: اللهم إني غليظٌ فلئني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة<sup>(2)</sup> والنفاق، من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداء عليهم؛ اللهم إني شحيح فسحني في ثوابت المعروف، قصداً من غير سرف ولا تبذير، ولا رياء ولا سمعة، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة؛ اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني

(1) نكل به: عاقبه بما يردعه ويردعه غيره من إتيان مثل صنيعه.

(2) الدعارة: الفسق والخبث والفجور.

كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين؛ اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعونك وتوفيقك؛ اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى، وذكر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات؛ اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت؛ إنك على كل شيء قدير.

وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عُرف أنه فرغ من خطبته: اللهم لا تدعني في غمرة<sup>(1)</sup>، ولا تأخذني على غرّة، ولا تجعلني من الغافلين.

---

(1) الغمرة: الشدة.

## من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها بالمدينة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال:

أيها الناس: كتاب الله وسنة نبيكم ﷺ، أما بعد: فلا يدعِين مُدْعٍ إلا على نفسه، شُغِلَ من الجنة والنار أمامه. ساع نجا، وطالبٌ يرجو، ومقصرٌ في النار: [ثلاثة؛ واثنان]: ملكٌ طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده، لا سادس. هلك من ادعى، وردي من اقتحم. اليمين والشمال مضلة، والوسطى والجادة: منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة؛ إن الله داوى هذه الأمة بدوائين: السوط والسيف، فلا هوادة عند الإمام فيهما، استتروا ببيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم؛ فالموت من ورائكم. من أبدى صفحته<sup>(1)</sup> للحق هلك. قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمودين. أما إني لو أشاء أن أقول لقلت: عفا الله عما سلف. سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب، همته بطنه، ويله! لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له! انظروا، فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتم فأروا حق وباطل، ولكل أهل؛ ولئن أمر الباطل لقديماً فعل، ولئن قال الحق لربما ولعل؛ ولقلما أدبر شيء فأقبل؛ ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لمعداء، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة، وما علينا إلا الاجتهاد.

ومن خطبه أيضاً:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل، وترك الأمل؛ فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله، أين التعب بالليل والنهار، المقتحم

(1) يقال: أبدى صفحته: باح بأسراره، أو جهر بالذنب والخطيئة.

لِلجَجِّ البحار ومفاوز القفار، يسير من وراء الجبال وعالج<sup>(1)</sup> الرمال، يصل الغدوة بالرواح، والمساء بالصباح، في طلب محقرات الأرباح؛ هجمت عليه منيته، فعظمت بنفسه رزيتة؛ فصار ما جمع بُوراً<sup>(2)</sup>؛ وما اكتسب غروراً، ووافى القيامة محوراً<sup>(3)</sup>.

أيها اللاهي الغار بنفسه، كأني بك وقد أتاك رسول ربك، لا يقرع لك باباً، ولا يهاب لك حجاباً، ولا يقبل منك بديلاً، ولا يأخذ منك كفيلاً، ولا يرجم لك صغيراً، ولا يوقر فيك كبيراً، حتى يوديك إلى قعر مظلمة، أرجاؤها موحشة، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية! أين من سعى واجتهد؛ وجمع وعدد، وبنى وشيّد؛ وزخرف ونجّد، وبالقليل لم يقنع، وبالكثير لم يمتع؟ أين من قاد الجنود، ونشر البنود<sup>(4)</sup>؟ أضحوا رفاتاً! تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون، ولسيلهم سالكون.

عباد الله فاتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقق السماء بالغمام، وتطير الكتب عن الأيمان والشمائل؛ فأَي رجل يومئذ تراك؟ أقائل: ﴿هَآؤُمْ أَقْوَمُ وَآ كِنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 19]! أم: ﴿بَلِّغْنِي لِرَأْتِ كِنِيَّةٍ﴾ [الحاقة: 25]! نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جتته أن يقينا سخطه؛ إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومن خطبه رضي الله عنه:

أمّا بعد؛ فإنّ الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإنّ المضمار اليوم والسباق غداً، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل؛ فمن أخلص في أيام أملة قبل حضور أجله، فقد خسر عمله وضره أملة؛ ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها؛ ألا وإنه من لا ينفعه الحقّ يضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يجرّ به الضلال إلى الردى؛ ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن<sup>(5)</sup>، ودلّتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

وخطبه الزهراء:

الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليّه، وكل شيء خاشع له، كل شيء قائم به،

(1) تعلق الرمل: تجتمع.

(2) البوار: الهلاك، والكماد.

(3) المحور: الأسف والحزين.

(4) البنود: الأعلام الكبيرة.

(5) الظعن: المسير والارتحال.

وكل شيء ضارِعٌ<sup>(1)</sup> إليه، وكل شيء مستكين له؛ خشعت له الأصوات، وكَلَّتْ دونه الصفات، وضلت دونه الأوهام، وحاترت دونه الأحلام، وانحسرت دونه الأبصار لا يقضي في الأمور غيره، ولا يتم شيء منها دونه، سبحانه ما أجل شأنه، وأعظم سلطانه! تُسبح له السموات العلى، ومن في الأرض السفلى، له التسبيح والعظمة، والملك والقدرة، والحوْلُ والقوة، يقضي بعلم ويعفو بحلم؛ قوَّة كل ضعيف، ومفزع<sup>(2)</sup> كل ملهوف وعزُّ كل ذليل، ووليُّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، وكاشف كل كربة المُطلع على كل خفيَّة، المحصي كل سريرة، يعلم ما تُكِنُّ الصدور، وما تُرَخِّي عليه الستور؛ الرحيم بخلقه، الرؤوف بعباده؛ من تكلم منهم سمع كلامه، ومن سكت منهم علم ما في نفسه، ومن عاش منهم فعليه رزقه، ومن مات منهم فالإله مصيره؛ أحاط بكل شيء علمه وأحصى كل شيء حفظه، اللهم لك الحمد عدد ما تُحبي وتُمتيت، وعدد أنفاس خلقك ولفظهم ولحظ أبصارهم، وعدد ما تجري به الريح وتحمله السحاب، ويختلف به الليل والنهار، ويسير به الشمس والقمر والنجوم - حمداً لا ينقضي عدده، ولا يفنى أمده: اللهم أنت قبل كل شيء، وإليك مصير كل شيء، وتكون بعد هلاك كل شيء وتبقى ويفنى كل شيء، وأنت وارث كل شيء، أحاط علمك بكل شيء، وليس يُعجزُك شيء، ولا يتوارى عنك شيء، ولا يقدر أحد قدرتك، ولا يشكرُك أحد حقاً شكرك، ولا تهتدي العقول لصفتك، ولا تبلغ الأوهام حدك؛ حارت الأبصار دون النظر إليك فلم ترك عينٌ فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت. لا نعلم اللهم كيف عظمتك، غير أنا نعلم أنك حيٌّ قيوم، لا تأخذك سنة<sup>(3)</sup> ولا نوم، لم ينته إليك نظر، ولم يُدرِكْك بصر، ولا يقدر قدرتك ملكٌ ولا بشر؛ أدركت الأبصار، وكتمت الآجال، وأحصيت الأعمال، وأخذت بالنواصي والأقدام، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة، ملأت كل شيء عظمة، فلا يُردُّ ما أردت، ولا يعطى ما منعت، ولا ينقص سلطانتك من عصاك ولا يزيد في ملكك من أطاعك؛ كلُّ سيرٍ عندك علمه، وكل غيب عندك شاهده؛ فلم يستتر عنك شيء، ولم يشغلك شيء عن شيء، وقدرتك على ما تقضي كقدرتك على ما قضيت، وقدرتك على القوي كقدرتك على الضعيف، وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات؛ فإليك المنتهى وأنت الموعد، لا منجى إلا إليك؛ بيدك ناصية كل دابة، وبيادتك تسقط كل ورقة؛ لا يعزب عنك مثقال ذرة؛ أنت الحيُّ القيوم؛ سبحانه! ما أعظم ما يُرى من خلقك! وما أعظم ما يُرى من ملكوتك! وما أقلهما فيما غاب عنا

(1) ضرع إليه وله: ذل وخضع.

(2) المفزع: من يلجأ إليه عند نزول الخطب.

(3) السنة: أول النوم، والسنة: الغفلة.

منه! وما أسبغ<sup>(1)</sup> نعمتك في الدنيا وأحقرها في نعيم الآخرة! وما أشدَّ عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في عقوبة الآخرة! وما الذي نرى من خلقك، ونعتبر من قدرتك، ونصف من سلطانك فيما يغيب عنا منه مما قُصرتْ أبصارنا عنه وكانت عقولنا دونه، وحالت الغيوب بيننا وبينه، فمن قرع سنه وأعمل فكره كيف أقمت عرشك، وكيف ذرأت خلقك، وكيف علقت في الهواء سمواتك، وكيف مددت أرضك - يرجع طرفه حاسراً، وعقله مبهوراً، وسمعه والهأ، وفكره متحيراً؛ فكيف يُطلب علم ما قبل ذلك من شأنك إذ أنت وحدك في الغيوب التي لم يكن فيها غيرك، ولم يكن لها سواك؟ لا أحد شهدك حين فطرت الخلق، ولا أحد حضرك حن ذرأت<sup>(2)</sup> النفوس، فكيف لا يعظم شأنك عند من عرفك، وهو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم، ويملاً قلوبهم، من رعدٍ تفرغ له القلوب، وبرق يخطف الأبصار، وملائكة خلقتهم وأسكتهم سمواتك، وليست فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا بهم معصية؛ هم أعلم خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقومهم بطاعتك، ليس يغشاهم نومُ العيون، ولا سهوُ العقول؛ لم يـسكنوا الأصلاب، ولم تضمهم الأرحام؛ أنشأتهم إنشَاءً، وأسكتهم سمواتك، وأكرمهم بجوارك، وائتمتهم على وحيك، وجنتهم الآفات، ووقيتهم السيئات، وطهرتهم من الذنوب؛ فلولا تقويتك لم يقووا، ولولا تثبيتك لم يشبوا، ولولا رهبتك لم يطيعوا، ولولاك لم يكونوا؛ أما إنهم على مكانتهم منك، ومنزلتهم عندك، وطول طاعتهم إياك - لو يعانون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمالهم، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك؛ فبحانك خالقاً ومعبوداً ومحموداً، بحسن بلائك عند خلقك! أنت خلقت ما دبته مطعماً ومشرباً، ثم أرسلت داعياً إلينا، فلا الداعي أجبنا، ولا فيما رغبنا فيه رغبنا، ولا إلى ما شوقنا إليه اشتقنا؛ أقبلنا كلنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع وقد زاد بعضنا على بعض حرصاً لما يرى بعضنا من بعض، فافتضحنا بأكلها واصطلحنا على حبها، فأعمت أبصار صالحينا وفقهائنا، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة، ويسمعون بأذان غير سمعية، فحيثما زالت زالوا معها، وحيثما مالت أقبلوا إليها، وقد عاينوا المأخوذين على الغرّة كيف فجأتهم الأمور، ونزل بهم المحذور، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون، وقدموا من الآخرة ما كانوا يوعدون: فارقوا الدنيا وصاروا إلى القبور، وعرفوا ما كانوا فيه من الغرور؛ فاجتمعت عليهم حسرتان: حسرة القوت وحسرة الموت؛ فاغبرت لها وجوههم وتغيرت بها ألوانهم، وعرقت بها جباههم، وشخصت أبصارهم، وبردت أطرافهم، وحيل بينهم وبين المنطق، وإن أحدهم لبين أهله، ينظر بصره، ويسمع بأذنه؛ ثم زاد الموت في جده حتى خالط بصره، فذهبت من الدنيا

(1) أسبغ الله النعمة: أكملها وأتمها.

(2) ذرأ: خلق.

معرفته، وهلكت عند ذلك حجته، وعاین هول أمر كان مغطى عليه فأحدّ لذلك بصره؛ ثم زاد الموت في جده حتى بلغت نفسه الحلقوم، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقى لا يجيب داعياً، ولا يسمع باكياً؛ فنزعوا ثيابه وخاتمته، ثم وضّأوه وضوء الصلاة، ثم غلّوه وكفنوه إدراجاً<sup>(1)</sup> في أكفانه وحنطوه، ثم حملوه إلى قبره، فدلّوه في حفرتة، وتركوه مخلى بمفظعات من الأمور، وتحت مسألة منكر ونكير، مع ظلمة وضيق ووحشة قبر، فذاك مثواه حتى يبلى جسده ويصير تراباً؛ حتى إذا بلغ الأمر إلى مقداره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاءه أمر من خالقه، أراد به تجديد خلقه - أمر بصوت من سمواته فمارت<sup>(2)</sup> السموات موراً، وفتح من فيها، وبقي ملائكتها على أرجائها، ثم وصل الأمر إلى الأرض، والخلق رفاتاً لا يشعرون فأرج أرضهم وأرجفها<sup>(3)</sup> وزلزلها، وقلع جبالها ونسفها وسيرها، ودك بعضها بعضاً من هيئته وجلاله، وأخرج من فيها فجدهم بعد بلائهم، وجمعهم بعد تفرقهم، يريد أن يحصيهم ويميزهم، فريقاً في ثوابه، وفريقاً في عقابه، فخلد الأمر لأبده، دائماً خيره وشره، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين، ولا المعصية من العاصين، فأراد عز وجل أن يجازي هؤلاء، وينتقم من هؤلاء، فأتاب أهل الطاعة بجواره، وحلول داره، وعيش رغد، وخلود أبدي، ومجاورة للرب، وموافقة محمد ﷺ، حيث لا ظعن ولا تغير؛ وحيث لا تصيبهم الأحزان، ولا تعترضهم الأخطار؛ ولا تُشخصهم الأسفار؛ وأما أهل المعصية فخلدهم في النار، وأوثق منهم الأقدام وغلّ منهم الأيدي إلى الأعناق؛ في لهب قد اشتد حره، ونار مطبقة على أهلها لا يدخل عليهم بها روح، همهم شديد، وعذابهم يزيد، ولا مدة للدار تنقضي، ولا أجل للقوم ينتهي.

اللهم إني أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك، فأنت وليهما لا يليهما أحد غيرك، وأسألك باسمك المخزون المكنون، الذي قام به عرشك وكرسيك وسمواتك وأرضك، وبه ابتدعت خلقك - الصلاة على محمد، والنجاة من النار برحمتك، آمين؛ إنك وليّ كريم.

وخطب أيضاً فقال: أيها الناس احفظوا عني خمسا فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها<sup>(4)</sup> لم تظفروا بمثلها؛ ألا لا يرجون أحدكم إلا ربّه، ولا يخافن إلا ذنبه ولا يحشي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا

(1) كفنوه إدراجاً: أدرج الشيء في الشيء: أدخله في أثناؤه.

(2) مار الشيء: تحرك وتدافع.

(3) أرجف الأرض: زلزلها.

(4) أنضى الدابة: هزلها وأتعبها.

وإن الخامسة الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ من لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له؛ ولا خير في قراءة إلا بتدبر ولا في عبادة إلا بتفكير، ولا في حلم إلا بعلم؛ ألا أنبئكم بالعالم كل العالم؟ من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمنهم مكره، ولم يؤسهم من روحه. لا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يقضي الله فيهم بأمره؛ ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله؛ فإنه يقول: ﴿فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَيْرُونَ﴾ [الأعراف: 99]، ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله، فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

## خطب معاوية بن أبي سفيان

قال القحذمي: لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلى كعبك<sup>(1)</sup>. قال: فوالله ما ردّ عليهم شيئاً حتى سعد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي، ولكني جاندتكم<sup>(2)</sup> بسيفي هذا مجالدة، ولقد رُضت لكم نفسي عى عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفاراً شديداً؛ وأردتها مثل ثنيت عثمان، فأبت عليّ؛ فلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة؛ فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية؛ والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له ذبراً أذني وتحت قدمي؛ وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا زاد عتّى<sup>(3)</sup>، وإذا قلّ أغنى؛ وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة. ثم نزل.

## ومن خطب معاوية بن أبي سفيان أيضاً

حمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي ﷺ، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس، إنا قديمنا عليكم، وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على عدو مستتر، وناس بين ذلك ينظرون ويتنظرون ﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَمْتَحِنُونَ﴾ [التوبة: 58]. ولست واسعاً كل الناس؛ فإن كانت محمداً فلا بدّ من

(1) أعلى كعبك: شرفك ومجدك.

(2) جالده بالسيف: ضاربه به.

(3) عتّى: أتعب.

مَدَمَّة، فَلَوْنَا هَوْنَا إِذَا ذَكَرْ غُفْر؛ وَإِيَاكُمْ وَالَّتِي إِنْ أَخْفَيْتِ أَوْبَقْتُ<sup>(1)</sup>، وَإِنْ ذُكِرَتْ أَوْبَقْتُ. ثم نزل.

### وخطبة أيضاً لمعاوية

صعد منبر المدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أهل المدينة، إني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق؛ يعيبون الشيء وهم فيه، كل امرئ منهم شيعته نفسه، فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شرٌّ لكم، وإن معروف زماننا هذا منكراً زمان قد مضى، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت، ولو قد أتى فالرَّتق خير من الفتق<sup>(2)</sup>، وفي كلِّ بلاغ، ولا مقام على الرزية.

### وخطبة لمعاوية أيضاً

قال العتبي: خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ، ثم قال:

إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم، ووعظكم فلم يهملكم، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]. قوموا إلى صلاتكم.

### ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

قال ابن دأب: لما قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً عنه أنكره، فجعل يتصدى له بخلوة ليسبر من رأيه ما كره أن يُشرك به عمله، فاستأذن عليه بعد انصداع<sup>(3)</sup> الطلاب وإشغال الخاصة وافتراق العامة، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه، ففطن معاوية لما أراد، فبعث إلى ابنه يزيد، وإلى مروان بن الحكم، وإلى سعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحكم، وعمرو بن العاص، فلما أخذوا مجالسهم أذن له، فسلم ووقف واجماً يتصفح وجوه القوم، ثم قال:

صريح العقوق<sup>(4)</sup> مكاتمة الأذنين، لا خير في اختصاص وإن قر، أحمد الله إليكم على الآلاء، وأستعينه على الآواء<sup>(5)</sup>، وأستهديه من عمى مجهد، وأستعينه على عدو مرصد، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شقاء هاو، ومن غواية

(1) أوبق: أفسد.

(2) الرَّتق: الالتئام، الفتق: الخلاف بين الجماعة، وتصدع الكلمة.

(3) الانصداع: الانشقاق.

(4) العقوق: العصيان.

(5) الآواء: الصعاب.

غاوٍ، وصلوات الله على الزكي، نبي الرحمة، ونذير الأمة، وقائد الهدى؛ أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد عسف بنا ظنَّ فرَّع، وفرَّع صدَّع، حتى طمع السحيق، ويئس الرفيق، ودب الوشاة بموت زياد، فكلهم متحفِّزٌ للعداوة، وقد قلَّص الإزره، وشمر عن عطفه، ليقول: مضى زياد بما اسلَّحني به، وولَّى على الدنيا من مُتَلجِّحه. فليت أمير المؤمنين سلِّم في دَعته، وأسلم زياداً في ضَعته، فكان ترب عامته، وواحد رعيته، فلا تشخص إليه عين ناظر ولا أصبع مشير، ولا تذلق<sup>(1)</sup> عليه ألسنُ كَلَمته حياً ونبشته ميتاً، فإن تكن يا أمير المؤمنين حابيت زياداً بولاء رفات، ودعوة أموات، فقد حاباك زياد بجَدِّ هصور<sup>(2)</sup> وعزم جمور، حتى لانت شكائهم<sup>(3)</sup> الشَّرْس، وذلت صعبة الأشوس<sup>(4)</sup>، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره، تأخذ بهما المنيع، وتقهر بهما البزيع<sup>(5)</sup>، حتى مضى والله يغفر له؛ فإن يكن زياد أخذ بحق فأنزلنا منازل الأقربين، فإن لنا بعده ما كان له، بدالة الرحم، وقرابة الحميم؛ فما لنا يا أمير المؤمنين نمشي الضراء وندب الخفاء، ولنا من خيرك أكمله، وعليك من حوبنا<sup>(6)</sup> أثقله، وقد شهد القوم، وما ساءني قريهم ليُقروا حقاً؛ ويردوا باطلاً؛ فإنَّ للحق مناراً واضحاً، وسبيلاً قسداً؛ فقل يا أمير المؤمنين بأي أمرئك شئت، فما نأرز<sup>(7)</sup> إلى غير جُحرنا، ولا نستكثر بغير حقنا، وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب، فتصنَّفهم بلحظه رجلاً رجلاً وهو متبسم، ثم اتجه تلقاءه وعقد حبوته<sup>(8)</sup> وحسر عن يده وجعل يوميء بها نحوه، ثم قال معاوية:

الحمد لله على ما نحن فيه؛ فكل خير منه، وأشهد أن لا إله إلا الله؛ فكل شيء خاضع له، وأن محمداً عبده ورسوله، دلَّ على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمثله، فهو خاتم النبيين، ومصدق المرسلين، وحجة رب العالمين، صلوات الله عليه وسلامه وبركاته، أما بعد، فرب خير مستور، وشر مذکور، وما هو إلا المههم الأخبب لمن طار به، والحظ المرغَّب لمن فاز به، فبهما التفاضل، وفيهما التغاين، وقد صَفَّقتْ

(1) ذلق: يقال: لسان ذلق: بليغ.

(2) الهصور: الأسد.

(3) الشكائم جمع الشكيمة: قوة القلب.

(4) الأشوس: المتكبر.

(5) البزيع: السيد الشريف.

(6) الحوب: الإثم.

(7) نأرز: نلجأ.

(8) يقال: حل حبوته: أي قام، وعقد حبوته: أي قعد.

يداي في أبيك صفقة ذي الخلة من ضوارع الفضلان، عامل اصطناعي له بالكفر لما أوليته، فما رميتُ به إلا انتصل، ولا انتضيتُه<sup>(1)</sup> إلا غلَّتْ جفنه، وزلَّتْ شفرته، ولا قلتُ إلا عانَد، ولا قمتُ إلا قعد، حتى اخترمه الموت، وقد أوقع بَحْثِرِه<sup>(2)</sup>، ودل على حقه، وقد كنت رأيت في أبيك رأياً حضَرَه الخطل، والتبس به الزلل، فأخذ مني بحظ الغفلة، وما أبرئ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء؛ فما برحت هناة أبيك تحطب في جبل القطيعة حتى انتكث<sup>(3)</sup> المبرم. وانحل عقد الوداد. فيا لها توبة تُؤتَف<sup>(4)</sup> من حوبة أورثت ندماً أسمع بها الهاتف وشاعت للشامت؛ فليهنأ الواصم ما به احتقر؛ وأراك تحمد من أبيك جداً وجسوراً: هما أوفيا به على شرف التقم وغمط<sup>(5)</sup> النعمة؛ فدغهما فقد أذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده، وبهما مشيت الضراء ودبيت الخفاء؛ فاذهب إليك، فأنت نجل الدغل<sup>(6)</sup>، وعتره النغل<sup>(7)</sup>؛ والأخر شر.

فقال يزيد: يا أمير المؤمنين، إن للشاهد غير حكم الغائب، وقد حضرك زياد، وله مواطن معدودة بخير، لا يفسدها التظني، ولا تغيرها التهم، وأهلوه أهلك التحقوا بك، وتوسطوا شأنك، فسافرت به الركب، وسمعت به أهل البلدان، حتى اعتقده الجاهل، وشك فيه العالم، فلا يتحجر يا أمير المؤمنين ما قد اتسع، وكثرت فيه الشهادات، وأعانك عليه قوم آخرون.

فانحرف معاوية إلى من معه فقال: هذا، وقد نَفِس<sup>(8)</sup> عليه بيعته، وطعن في إمرته، يعلم ذلك كما أعلمه؛ يا للرجال من آل أبي سفيان! لقد حكموا وبدَّهم يزيدٌ وحده.

ثم نظر إلى عبيد الله فقال: يا ابن أخي، إنني لأعرف بك من أبيك، وكأني بك في غمرة لا يخطوها السابح؛ فالزم ابن عمك، فإن لما قال حقاً.

فخرجوا، ولزم عبيد الله يزيد يرد مجلسه ويطأ عقبه أياماً، حتى رمى به معاوية إلى البصرة والياً عليها. ثم لم تزل توكسه<sup>(9)</sup> أفعاله حتى قتله الله بالخازر.

(1) انتضى السيف: أخرج من غمده.

(2) الختر: الغدر.

(3) انتكث: انتقض.

(4) تؤتف: يقال: هو يتأف الإخوان: يطلبهم ممن لم يعاشروا أحداً قبل.

(5) غمط الحق: أنكره وهو يعلمه.

(6) دغل فيه: دخل دخول المريب، ودغل الشيء: أدخل فيه ما يخالفه ويفسده.

(7) نغل المولود: فسد نسبه.

(8) نفيس: حسد.

(9) وكس في تجارته: خير.

## خطبة ليزيد

الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَّ له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه لوحيه، واختاره لرسالته، بكتاب فضله وفضله، وأعزه وأكرمه، ونصره وحفظه؛ ضرب فيه الأمثال، وحلَّل فيه الحلال وحرَّم فيه الحرام وشرع فيه الدين إعداراً وإنذاراً؛ لئلا يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرُّسل، ويكون بلاغاً لقوم عابدين. أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه وإليه يصير معادها، وانقطاع مدتها، وتصرم<sup>(1)</sup> دارها. ثم إني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وأينعت بالفاني، وتحبت بالعاجل، لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فيجمعها، أغالة عوالة<sup>(2)</sup> غرارة. لا تُبقي على حال، ولا يَبقى لها حال. لن تعدو الدنيا - إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها، والرضا بها - أن تكون كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45]. نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزع يومئذ آمنين.

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله، يقول الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ \* فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 128، 129].

(1) انصرم: ذهب وانقضى.

(2) عوالة: كثرة البكاء والصياح.

## خطب بني مروان

### خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته: اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلت أن تحصى، وهي صغيرة في جنب عفوك فاعف عني. وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال في خطبته:

إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المدهن<sup>(1)</sup> ولا بالخليفة المأفون<sup>(2)</sup>.

قال أبو إسحاق النizam: أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف، وسبك من هذا المدهن؛ لكنت منها أبعد من العيوق<sup>(3)</sup>. والله ما أخذتها بوراثه، ولا سابقة ولا قرابة، ولا بدعوى شورى، ولا بوصية.

### خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان، رجع الوليد من دفن عبد الملك ولم يدخل منزله حتى دخل المسجد، ونادى في الناس: الصلاة جامعة! فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، لا مؤخر لِمَا قَدَّمَ اللهُ، ولا مقدم لِمَا أَّخَّرَ اللهُ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحمله عرشه من الموت، موتٌ وَلِيَّ هذه الأمة، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار، للذي كان عليه من الشدة على المريب، واللين على أهل الفضل والدين، مع ما أقام من منار الإسلام وأعلامه، وحجَّ

(1) المدهن: المخادع.

(2) المأفون: الناقص العقل.

(3) العيوق: نجم من النجوم.

هذا البيت، وغزو هذه الثغور، وشن الغارات على أعداء الله؛ فلم يكن فيها عاجزاً، ولا وانياً، ولا مفراطاً؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الفذ<sup>(1)</sup>، وهو من الجماعة أبعد، واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه. ثم نزل.

## وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال: الحمد لله، ألا إن الدنيا دار غرور، ومنزل باطل، تُضحك باكياً، وتُبكي ضاحكاً، وتُخيف آمناً، وتؤمن خائفاً، وتُفقر مشرياً، وتثري مقترأ. مبالغة غرارة، لعبارة بأهلها. عباد الله، فاتخذوا كتاب الله إماماً، وارترضوا به حكماً. واجعلوه لكم قائداً، فإنه ناسخ لما كان قبله، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عَمَس<sup>(2)</sup>.

## وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

قال العتبي: أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله: أيها الناس أصلحوا سرائركم تَصْلُحْ لَكُمْ عِلَانِيَتِكُمْ، وأصلحوا آخرتكم تَصْلُحْ دُنْيَاكُمْ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ لمُعْرُقٍ في الموت.

## وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زاداً لا محالة. فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فرهبوا ورغبوا، ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم. فإنه ما يُسَطُّ أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد إمسائه أو يمسي بعد إصباحه. وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا، وإنما يطمئن إلى الدنيا من أمن عواقبها، فإن من يُداوي من الدنيا كُلماً أصابته جراحة من ناحية أخرى، فكيف يطمئن إليها؟ أعوذ بالله أن أمركم بما أنهى عنه نفسي؛ فتخسر صفقتي، وتظهر عَيْتِي<sup>(3)</sup>، وتبدو مكنتي، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق.

ثم بكى وبكى الناس معه.

(1) الفذ: الفرد.

(2) عمس الليل: أقبل بظلامه.

(3) العَيْلَة: الافتقار.

## خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضاً

شيب بن شيبه عن أبي عبد الملك قال: كنت من حرس الخلفاء قبل عمر، فكنا نقوم لهم ونبدوهم بالسلام؛ فخرج علينا عمر رضي الله عنه في يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة، فمثلنا بين يديه وسلمنا عليه، فقال: مَهْ! أنتم جماعة وأنا واحد؛ السلام عليّ والرّدّ عليكم، وسلّم، فرددنا، وقرّبت له دابته، فأعرض عنها، ومشى ومشينا حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردّوا على فقرائهم، حتى نستوي نحن بهم، وأكون أنا أولهم، ثم قال: ما لي وللدنيا؟ أم ما لي ولها؟ وتكلم فأزق<sup>(1)</sup> حتى بكى الناس جميعاً يميناً وشمالاً، ثم قطع كلامه ونزل؛ فدنا منه رجاء بن حيوة فقال له: يا أمير المؤمنين، كلمت الناس بما أرقّ قلوبهم وأبكاهم، ثم قطعته أحوجّ ما كانوا إليه؛ فقال: يا رجاء، إني أكره المباهاة.

## خطبة عبد الله بن الأهثم بين يدي عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأهثم على عمر بن عبد العزيز مع العامة، فلم يفجأ إلا وهو قائم بين يديه يتكلم؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد، فإن الله خلق الخلق غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم؛ والناس يومئذ في المنازل والرأي مختلفون، والعرب بشرّ تلك المنازل؛ أهل الوبر وأهل المدر، تُختار<sup>(2)</sup> دونهم طبيّات الدنيا ورفاهة عيشها؛ ميّتهم في النار وحيّهم أعمى، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه؛ فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته، بعث إليهم رسولاً منهم عزيزاً عليه ما عبتوا حريصاً عليهم، بالمؤمنين رؤوف رحيم؛ فلم يمنعمهم ذلك أن جرحوه في جسمه، ولقبوه في اسمه، ومعه كتاب من الله ناطق، لا يرحل إلا بأمره، ولا ينزل إلا بإذنه، واضطروه إلى بطن غار؛ فلما أمر بالعزيمة أسفر<sup>(3)</sup> لأمر الله لوئنه، فأفالج<sup>(4)</sup> الله حجته، وأعلى كلمته، وأظهر دعوته. وفارق الدنيا تقياً.

ثم قام من بعده أبو بكر رضي الله عنه، فسلك سُنَّته وأخذ سبيله؛ وارتدّت العرب فلم يقبل منهم إلا الذي كان رسولُ الله ﷺ يقبله؛ فانقضى السيوف من أغمادها، وأوقد

(1) أزق الشيء: ضاق.

(2) احتاز: ضمّ وامتلك.

(3) أسفر: وضع وانكشف.

(4) فلج بحجته: أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه.

النيران في شعلها، ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل، فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقي الأرض دماءهم، حتى أدخلهم في الباب الذي خرجوا منه، وقرّهم بالأمر الذي نفروا منه؛ وقد كان أصاب من مال الله بكرة يرتوي عليه، وحبشية ترضع ولدأ له؛ فرأى ذلك عُصّة في حلقه عند موته، وثقلاً على كاهله، فأدّاه إلى الخليفة من بعده وبرىء إليهم منه، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه.

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فمصرّ الأمصار، وخلط الشدة باللين، وحسر عن ذراعيه، وشمر عن ساقيه، وأعد للأمر أقرانها وللحرب آلتها، فلما أصابه قنّ المغيرة بن شعبة، أمر ابن العباس أن يسأل الناس هل يُثبتون قاتله؟ فلما قيل له قنّ المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق في الفيء، فيتحلّ دمه بما استحلّ من حقه؛ وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفاً فكسر بها رباعه، وكره بها كفالة أهله وولده، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه.

ثم إنّنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها، وألقمتك ثديها، فلما وليتها ألقيتها وأحببت لقاء الله وما عنده؛ فالحمد لله الذي جلا بك حوبتنا<sup>(1)</sup>، وكشف بك كُرْبتنا. امض ولا تلتفت، فإنه لا يُغني عن الحق شيء، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات.

ولما قال: ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج. سكت الناس كلهم غير هشام، فإنه قال: كذبت!

## وخطبة أيضاً لعمر بن عبد العزيز

قال أبو الحسن: خطب عمر بن عبد العزيز بخناصرة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات، رحمه الله، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عبثاً، ولم تُتركوا سدى؛ وإن لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخير من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحُرِمَ جنة عرضها السموات والأرض؛ واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف اليوم وباع قليلاً بكثير، وفانياً بباقي؛ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين؛ ثم إنكم في كل يوم تُشيعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نحبّه، وبلغ أجله، ثم تغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعون غير مؤسّد ولا

(1) الحوب: الإثم.

ممهّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحاب وواجه الحساب، [مرتهناً بعمله]، غنياً عما ترك، فقيراً إلى ما قدّم؛ وأيم الله إني لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما عندي، فأستغفر الله لي ولكم، وما تَبَلَّغنا [عن أحد منكم] حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدّناها، ولا أحد منكم إلا ووددت أن يده مع يدي ولُحمتي<sup>(1)</sup> الذين يلونني، حتى يستوي عيشنا وعيشكم. وأيم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة<sup>(2)</sup> لكان اللسان به ناطقاً ذلولاً، عالماً بأسبابه؛ ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، دل فيها على طاعته، ونهى عن معصيته.

ثم بكى، فتلقى دموع عينيه بردائه، ونزل؛ فلم يُر بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى.

---

(1) اللُّحمة: القرابة.

(2) الغضارة: غضارة العيش: السعة والنعمة.

## خطبة يزيد بن الوليد

### حين قتل الوليد بن يزيد

بقي بن مخلد قال: حدثني خليفة بن خياط، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثني إبراهيم بن إسحق أن يزيد بن الوليد لما قتل الوليد بن يزيد قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، إني ما خرجت أشراً ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك؛ وما بي إطراء نفسي ولا تزكية عملي، وإني لظلوم نفسي إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضباً لله ودينه، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه، حين درست معالم الهدى، وظفياً نور أهل التقوى، وظهر الجبار العنيد المستحل الحرمه، والراكب البدعة والمغيّر السنة؛ فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقتلع، على كثير من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم، وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه، فيجيبه من أجابه منكم؛ فاستخرت الله في أمري، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي؛ وهو ابن عمي في نسبي؛ وكفني في حسبي؛ فأراح الله منه العباد، وطهر منه البلاد، ولأية من الله وعوناً بلا حول منا ولا قوة، ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه.

أيها الناس، إن لكم عليّ إن وليت أموركم أن لا أضع لينة على لينة ولا حجراً على حجر، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخصاصة<sup>(1)</sup> أهله]. وأقيم مصالحه، بما يحتاجون إليه ويقوون به؛ فإن فضل شيء ردّدته إلى البلد الذي يليه وهو من أحوج البلدان إليه، حتى تتقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواء، ولا أجمركم<sup>(2)</sup> في بعوثكم فتفتنوا وتفتن أهاليكم؛ فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم به، وإن ملت فلا بيعة لي عليكم؛ وإن رأيتم أحداً أقوى عليها مني فأردتم بيعته، فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(1) الخصاصة: الفقر والحاجة وسوء الحال.

(2) جمر الشيء: جمّعه، وجمر الأمير الجيوش: جمعهم في الثغور وحسبهم عن العود إلى أهلهم.

## خطب بني العباس

العتبي قال: قيل لمسلمة بن هلال العبدي: خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يُسمع أحسن منها، وما دَرَيْنَا أَوْجُهَهُ كَانَ أَحْسَنَ أَمْ كَلَامِهِ! قال: أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون، وبلسان النبوة ينطقون.

### خطبة أبي العباس السفاح بالشام:

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي، لما قُتل مروان بن محمد قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَمَعَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ \* جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَنسِكُ الْقَرَارَ﴾ [إبراهيم: 28، 29] نكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان، يتسكعون<sup>(1)</sup> بكم الظلم، ويتهورون بكم مداحض<sup>(2)</sup> الزلق، يطئون بكم حرَمَ الله وحرَمَ رسوله، ماذا يقوم زعماؤكم غداً؟ يقولون ﴿رَبَّنَا هَاتُوا لَنَا آيَاتِكُمْ فَتَنَّا بِهَا عِبَادَكَ لَعَلَّكَ تَنصِرُنَا﴾ [الأعراف: 38] إذا يقول الله عز وجل: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38] أما أمير المؤمنين فقد ائتمف<sup>(3)</sup> بكم التوبة، واغتفر لكم الزلة، وبسط لكم الإقامة، وعاد بفضلته على نقصكم ويحلّمه على جهلكم، فلتفرخ<sup>(4)</sup> روعكم ولتطمئن به داركم، وليقطع مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

(1) تسكع: مشى لا يدري أين يذهب.

(2) الدحض: الزلق، والزلق: الموضع الذي لا تثبت عليه قدم لملاسته.

(3) يريد قبل توبتكم.

(4) أفرخ: يقال: أفرخ الله روع فلان: أذهب عنه الفزع.

## خطب المنصور

خطب أبو جعفر المنصور، واسمه عبد الله بن محمد بن علي، لما قُتل الأمويين، فقال:

أحز لسان رأسه، انتبه امرؤ لحظه، نظر امرؤ في يومه لغده؛ فمشى القصد وقال الفصل، وجانب الهُجر<sup>(1)</sup>.

ثم أخذ بقائم سيفه، فقال: أيها الناس، إن بكم داء هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفائه؛ فليعتبر عبدٌ قبل أن يُعتبر به، فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله.

### طبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شُنْشِنَةٌ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمٍ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ  
[من الرجز]

مهلاً مهلاً زوايا الإرجاف<sup>(2)</sup> وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفيتم، والتخطي إلى ما حُدِّرتم، قبل أن تتلف نفوس، ويقلَّ عدد، ويدول عز؛ وما أنتم وذاك؟ ألم تجدوا ما وعد ربكم من إیراث المستضعفين من مشارق الأرض ومغاريها حقاً؟ والجحد الجحد، ولكن خب<sup>(3)</sup> كامن، وحسد مُكْمِد<sup>(4)</sup>، فُبُعداً للقوم الظالمين.

(1) الهُجر: الهذيان والقبیح من القول.

(2) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب.

(3) الخبّ: الخداع.

(4) المكمود: الكاتم حزنه.

## وخطب أيضاً:

قال يعقوب بن السكيت: خطب أبو جعفر المنصور يوم الجمعة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس اتقوا الله...

فقام إليه رجل فقال: أذُكُّرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين.

قال أبو جعفر: سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذُكر به، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم؛ لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين. وأما أنت - والتفت إلى الرجل فقال: - واللَّهِ ما اللّهُ أردت بها، ولكن ليقال: قام فقال فعوقب فصبراً! وأهونُ بها! [وَيْلُكَ] لو كانت العقوبة [فاهتبلها<sup>(1)</sup>] إذ عَفَرْتُ؛ وأنا أنذركم أيها الناس أختها؛ فإن الموعدة علينا نزلت، وفيها انبثت.

ثم رجع إلى موضعه من الخطبة.

## وخطبة أيضاً للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأيبده؛ وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه؛ فقد جعلني الله عليه قفلاً، إن شاء أن يفتحني فتخني لإعطائكم وقسم أرزاقكم؛ فإن شاء أن يُقفلني عليها أقفلني؛ فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] أن يوفقني للرشاد وللصواب، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## وخطبة لسليمان بن علي

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرُثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ \* إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءًا لِقَوْمٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: 105، 106] قضاء مبرم، وقول فصل، ما هو بالهزل؛ الحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، وبعداً للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة غرضاً، والفيء إرثاً، والدين هزواً، وجعلوا القرآن عِصِين، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، فكائن ترى من بئر مُعَطَّلَة وقصرٍ مَشِيدٍ؛ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ﴾ [آل عمران: 182] أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب،

(1) اهتبل الفرصة: اغتمها.

واضطهدوا العترة، ونبذوا السنة، [وَعَنَدُوا] واعتدوا، واستكبروا، وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم، فهل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً؟<sup>(1)</sup>.

## خطبة عبد الملك بن صالح بن علي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالَهَا﴾ [محمد: 24] يا أهل الشام، إن الله وصف إخوانكم في الدين وأشباهكم في الأجسام، فحذرهم نبيه محمد ﷺ فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنْفَ يُؤْفِكُونُ﴾ [المنافقون: 4]. فقاتلكم الله أنى تُصرفون! جثث مائلة، وقلوب طائرة، تشبُّون الفتن وتولون الدبر إلا عن حرم الله فإنه دريتكم<sup>(2)</sup>، وحرَم رسوله فإنه مغزاكم؛ أما وحرمة النبوة والخلافة، لتتفرن خفافاً وثقالاً، أو لأوسعنكم إرغاماً ونكالاً.

## وخطب صالح بن علي

يا أعضاء النفاق وعُبد الضلالة، أغرکم لين إيساسي<sup>(3)</sup> وطول إيناسي؛ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول<sup>(4)</sup> حد، وتور جد، وخور قنأة! كذبت الظنون، إنها العترة بعضها من بعض، فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال<sup>(5)</sup> وفظام وسيف يقد الهام، وإني أقول:

أَغْرَكُمُ أَنِّي بَأَكْرَمِ شَيْمَةٍ رَفِيقٌ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَقُ  
ومثلي إذا لم يُجزَ أحن سعيه تكلم نُعماءه بِفِيهَا فَتَنُطِقُ  
لعمرى! لقد فاحشتني فغلبتني هنيئاً مريئاً أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَزْفَقُ  
[من الطويل]

## وخطب داود بن علي بالمدينة

فقال: أيها الناس، حتّام يهتف بكم صريحكم؟ أما أن لراقدكم أن يهب من نومه؟ ﴿كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْفِيُونَ﴾ [المطففين: 14]! أغرکم الإمهال حتى

(1) الرُّكز: الصوت الخفي.

(2) الدرئثة: ما يستتر به الصائد ليختل الصيد.

(3) الإيساس: الإسراع في السير.

(4) السيف الفلول: الذي يُلم وكسر حده.

(5) الفظام: الفظام.

حسبتموه الإهمال؟ هيهات منكم وكيف بكم والسوط في كفي والسيف مُشهر:

حتى يخبيد قبيلة فقبيلةً وَيَعْضُّ كُلُّ مُثَقَّفٍ بِالْهَامِ  
وَيُقِمْنَ رِبَاتِ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَمَسْحَنَ عُرْضَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ  
[من الكامل]

## خطبة داود بن علي بمكة

وخطب داود بن علي بمكة: شكراً شكرياً! والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ولا لنبتني فيكم قصراً، أَظَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ يُظْفَرَ بِهِ، إِذَا مُدَّ لَهُ فِي عَنَانِهِ <sup>(1)</sup> حتى عثر في فضل زمامه! فالآن عاد الأمر في نصابه، وطلعت الشمس من مشرقها، والآن تولى القوس باربها، وعادت النبل إلى التزعة، ورجع الأمر إلى مُسْتَقْرَه، في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة، فاتقوا الله وأسمعوا وأطيعوا، ولا تجعلوا النعم التي أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُتِيحَ هَلِكْتَكُمْ، وتزيل النعم عنكم.

## خطبة المهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه، ورضي به من خلقه، أحمدُه على آلائه، وأمجده لبلائه، وأستعينه وأؤمن به، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه، وصابر لبلائه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي، ورسوله إلى خلقه، وأمينه على وحيه؛ أرسله بعد انقطاع الرجاء، وطموس العلم، واقتراب من الساعة، إلى أمة جاهلية، مختلفة أمة، أهل عداوة وتضاغن، وفرقة وتباين، قد استهوتهم شياطينهم، وغلب عليهم قرناؤهم، فاستشعروا الردى، وسلكوا العمى، يبشّر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها، ويُنذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42].

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإن الاقتصار عليها سلامة، والترك لها ندامة؛ وأحذّكم على إجلال عظمته، وتوقير كبريائه وقدرته، والانتهاه إلى ما يقرب من رحمته ويُنجي من سخطه، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب؛ وجزيل المآب؛ فاجتنبوا ما خوّفكم الله من شديد العقاب، وأليم العذاب، ووعيد الحساب؛ يوم توفّفون بين يدي الجبار، وتعرضون فيه على النار ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ سَخِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾

(1) العنان: سبيل اللجام الذي تمسك به الدابة.

[هود: 105]؛ ﴿يَوْمَ يُعْرَضُ أَكْبَرُ مِنْ أَكْبَرِهِ ﴿٢٤﴾ وَأَمِيرُهُ وَأَيُّهُ ﴿٢٥﴾ وَصَاحِبِيهِ وَبَيْنَهُ ﴿٢٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَاقٌّ يُؤْمِنُ بِهِ ﴿٢٧﴾﴾ [عبس: 34 - 37]؛ ﴿يَوْمًا لَا يَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 123]؛ ﴿يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَكُم بِاللَّهِ الْفَرُورُ﴾ [الرعد: 33]؛ فإن الدنيا دارٌ غرور، وبلاءٍ وشُرور، واضمحلالٍ وزوال، وتقلبٍ وانتقال؛ قد أفنت من كان قبلكم، وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم؛ من ركن إليها صرَعته، ومن وثق بها خانتها؛ ومن أملها كذبت، ومن رجاها خذلتها؛ عزها ذل، وغناها فقر؛ والسعيد من تركها، والشقي فيها من آثرها، والمغبون فيها من باع حظَّه من دارٍ آخرته بها؛ فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة، والرحمة مبسوطة؛ وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكظم<sup>(1)</sup>، وتندموا فلا تُقالون بالندم، في يوم حسرةٍ وتأسفٍ وكآبةٍ وتلهُفٍ؛ يومٌ ليس كالأيام، وموقف ضنك المَقَام، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: 204]. أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم! بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُنشَأَنَّ يَوْمَئِذٍ مِنَ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [سورة التكاثر].

أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، وأرضى لكم طاعة الله، وأستغفر الله لي ولكم.

## خطبة هارون الرشيد

الحمد لله؛ نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى طَاعَتِهِ، وَنَسْتَصِرُّهُ عَلَى أَعْدَانِهِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ حَقًّا، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ مَفُوضِينَ إِلَيْهِ؛ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرِّسَالِ، وَدَرَّسَ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِدْبَارِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ؛ بِشِيرًا بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ؛ وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيْ عَذَابِ أَلِيمٍ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَهَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ، فَأَدَّى عَنِ اللَّهِ وَعَدَّهُ وَوَعِيدَهُ حَتَّى آتَاهُ الْيَقِينِ؛ فَعَلَى النَّبِيِّ مِنَ اللَّهِ صَلَاةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلَامٌ.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله؛ فإن في التقوى تكفير السيئات، وتضعيف الحسنات، وفوزاً بالجنة، ونجاة من النار؛ وأحذركم يوماً تشخص فيه الأبصار، وتبلى فيه الأسرار، يومُ البعث ويومُ التغابن، ويومُ التلاقي ويومُ التنادي، يوم لا يُستعَب من

(1) الكَظْم: مخرج النفس، يقال: أخذ بكَظْمِهِ: أي كَرَبَهُ وَغَمَّهُ.

سِيئَةٌ وَلَا يُزَادُ مِنْ حَسَنَةٍ؛ ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَغْنَىٰ وَمَا تَخْفَىٰ الضُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: 18-19] ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

عباد الله؛ إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولن تُتركوا سُدىً؛ حصنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع، وصلاتكم بالزكاة؛ فقد جاء في الخبر أن النبي ﷺ قال: «لا إيمانَ لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، ولا صلاة لمن لا زكاة له»<sup>(1)</sup> إنكم سَفَرٌ مجتازون وأنتم عن قريبٍ تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة، وإلى الرحمة بالتقوى، وإلى الهدى بالأمانة؛ فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين، ومغفرته للتائبين، وهُداه للمبينين؛ قال الله عز وجل وقوله الحق ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْتُنِيهَا لِلَّذِينَ نَقَنُوا وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الأعراف: 156]. وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: 82]. وإياكم والأمانى، فقد غرت وأوردت وأوبقت كثيراً حتى أكذبتهم مناياهم، فتناوشوا<sup>(2)</sup> التوبة من مكان بعيد، وحيل بينهم وبين ما يشتهون؛ فأخبركم ربكم عن المثلاث<sup>(3)</sup> فيهم، وصرّف الآيات، وضرب الأمثال، فرغب بالوعد وقدم إليكم الوعيد، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلاً فجيلاً، وعهدتهم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم، ومن بين أظهركم، لا تدفعون عنهم، ولا تحولون دونهم، فزالت عنهم الدنيا، وانقطعت بهم الأسباب، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب ﴿يَجْزَى الَّذِينَ اسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: 31].

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعدة كتابُ الله؛ يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204]. أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا وَاكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الإخلاص]. أمركم بما أمركم الله به، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له». أخرجه ابن حنبل (3/135، 154، 210، 251)، والهيتمي في موارد الظمان (47). والمنذري في الترغيب (241). والمتقي في الكنز (553).

(2) تناوش القوم في القتال: تناول بعضهم بعضاً بالرمح ولم يتدانوا كل التداني.

(3) المثلاث جمع المثلثة: العقوبة والتكيل.

## خطبة للحجاج بن يوسف الثقفي:

خطب الحجاج فقال: اللهم أرني الغيِّ غيًّا فأجتنبه، وأرني الهدى هُدًى فأتبعه، ولا تكلني إلى نفسي فأضِلَّ ضلالاً بعيداً! والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء.

## وخطبة للحجاج أيضاً:

قال الهيثم بن عدي: خرج الحجاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة، فسمع تكبيراً في السوق، فراعه<sup>(1)</sup> ذلك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق، وبني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفقع بالقرقر<sup>(2)</sup>؛ إني سمعت تكبيراً لا يُراد به الله وإنما يراد به الشيطان؛ وإنما مثلي ومثلكم ما قال ابن براءة الهمداني:

وكنْتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزَوْتُهُمْ فهل أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمٌ؟  
مَتَى تَجْمَعِ القَلْبَ الذِّكْيَ وصارِماً وأنفاً حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ المِظَالِمُ!  
[من الطويل]

أما والله لا تفرع عصاً بعضاً إلا جعلتها كأس الدابر.

## خطبة الحجاج بعد دير الجماجم:

خطب أهل العراق فقال:

يا أهل العراق، إن الشيطان استطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف: ثم أفضى إلى المِخاخ والصمائح، ثم ارتفع فعشش؛ ثم باض وفرخ، فحشاكم شقاقاً ونفاقاً، أشعركم خلافاً اتخذتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تطيعونه، ومؤامراً تستثيرونه، فكيف تنفَعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو يردكم إيمان؟ أستم أصحابي بالأهواز حيث رتمتم المكر؛ وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للفكر، وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تسئلون ليواداً<sup>(3)</sup>؛ وتنهزمون سراعاً، ثم يوم الزاوية: وما يوم الزاوية؟ بها كان فشلكم

(1) راعه: أفرعه.

(2) الفقع بالقرقر: الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة. والقرقر من الأودية: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة. يضرب مثلاً للرجل الذليل.

(3) ليواداً: مسترين.

وتنازِعُكُمْ وتخاذلكم وبراءةُ الله منكم ونكوصُ وليكم عنكم؛ إذ ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها<sup>(1)</sup>؛ لا يسأل المرءُ منكم عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه، حتى عضكم السلاح، وقصمتكم الرماح، ثم يوم دبر الجماجم: وما دبر الجماجم؟ بها كانت المعارك والملاحم، بضربٍ يُزيل الهام عن مقيله<sup>(2)</sup>، ويذهل الخليل عن خليله.

يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات؛ والغدرات بعد الخترات<sup>(3)</sup>، والنزوة بعد النزوات، إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخُنتم، وإن أمتتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم؛ لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة!

يا أهل العراق: هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاوٍ، أو استفزكم عاص أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع - إلا وثقتموه وأويتموه وعزّزتموه ونصرتموه ورضيتموه.

يا أهل العراق؛ هل شَعَبَ شاغب، أو نَعَبَ ناعب<sup>(4)</sup>، أو نَعَقَ ناعق<sup>(5)</sup>، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره. يا أهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم<sup>(6)</sup> الذاب عن فراخه؛ ينفي عنها المدر<sup>(7)</sup>، ويباعد عنها الحجر ويكنّتها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرّسها من الذئاب؛ يا أهل الشام، أنتم الجِنَّةُ والرداء، وأنتم العدة والحذاء.

## وخطبة للحجاج

قال مالك بن دينار: غدوت للجمعة، فجلت قريباً من المنبر، فصعد الحجاج ثم

قال:

- (1) الأعطان: مبرك الإبل، ومريض الغنم عند الماء.
- (2) المقبل: موضع القيلولة.
- (3) الخترات: أشد الغدر.
- (4) الناعب: الصائح والمصوت.
- (5) الناعق: الرافع صوته.
- (6) الظليم: ذكر النعام.
- (7) المَدْر: الطين اللزج المتماسك.

امرؤ حاسب نفسه؛ امرؤ راقب ربه؛ امرؤ زور عمله، امرؤ فكر فيما يقرؤه غداً في صحيفته ويراه في ميزانه، امرؤ كان عند همه امرأ، وعند هواه زاجراً؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة، فإن قاده إلى حق تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفه. إنا والله ما خلقنا للفناء، وإنما خلقنا للبقاء، وإنما نتقل من دار إلى دار.

## خطبة الحجاج بالبصرة

﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] فهذه لله وفيها مثوبة، ثم قال: ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 16]. فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان، والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره، لكانت دماؤهم لي حلالاً من الله، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالاً. عذيري من هذه الحمراء، يرمي أحدهم بالحجر إلى السماء ويقول: يكون إلى أن يقع هذا خير. والله لأجعلنهم كأس الدابر؛ عذيري من عبد هذيل، إنه زعم أنه آمن عند الله، يقرأ القرآن كأنه رَجَزٌ<sup>(1)</sup> الأعراب؛ والله لو أدركته لقتلته.

## خطبة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله كفانا مؤونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليته كفانا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا. ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجهاً لكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟ ما لي أراكم تحرصون على ما كُفيتم، وتُضَيِّعون ما به أمرتم؟ إن العلم يوشك أن يُرفع، ورفعه ذهاب العلماء، ألا وإنني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس: الذين لا يقرأون القرآن إلا هُجراً<sup>(2)</sup>، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُرًا<sup>(3)</sup>؛ ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرُّ والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجلُّ مستأخر يحكم فيه ملكٌ قادر؛ ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ [النجم: 31]. ألا وإن الخير كله بحذافيه في الجنة؛ ألا وإن الشرَّ كله بحذافيه في النار؛ ألا وإن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وأستغفر الله لي ولكم.

(1) الرجز: بحر من بحور الشعر.

(2) الهجر: الهديان والقبیح من القول.

(3) يقال: أتى الصلاة دُبُرًا: بعدما يفوت الوقت.

## وخطبة للحجاج

خطب الحجاج أهل العراق فقال: يا أهل العراق إني لم أجد لكم دواءً أدوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل، فإنها تعقب راحة وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الراحة بكم؛ وما أراكم إلا كارهين لمقاتلي، أنا والله ليرؤيتكم أكره، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حملت نفسي مقاساتكم والصبر على النظر إليكم؛ والله أسأل حُسن العون عليكم! ثم نزل.

## خطبة الحجاج حين أراد الحج

يا أهل العراق، إني أردتُ الحج، وقد استخلفتُ عليكم أبنِي محمداً، وما كنتم له بأهل؛ وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ الله ﷺ في الأنصار؛ فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم، وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم! ألا وإنكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفي، تقولون: لا أحسن الله له الصحابة! وإني أعجل لكم الجواب: فلا أحسن الله عليكم الخلافة! ثم نزل.

## خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر ركباً على النجائب، حتى دخل الكوفة [فجأة] حين انتشر النهار، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية، فبدأ الحجاج بالمجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز، فقال: علي بالناس، فحسبه وأصحابه خوارج، فهموا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد، قام، ثم كشف عن وجهه، ثم قال:

أنا ابنُ جَلال<sup>(1)</sup> وطلأُ الثنايا  
صليبُ العودِ من سَلْفِي رِيح  
وماذا يبتغي الشُّعراءُ مني  
أخو خمسينَ مجتمِعِ أشْدي  
وإني لا يعودُ إليَّ قِرْني  
غداً العَبءُ إلا في قَرين  
متى أضع العِمامةَ تعرفوني  
كنضل السيفِ وضاح الجين  
وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين  
ونَجَدني<sup>(2)</sup> مُداوِرة الشُّون  
[من الوافر]

(1) ابن جلا: السيد الشريف لا يخفى مكانه.

(2) نَجَدَه: عضه بالنواجب. ويقال: نَجَدته التجارب: أحكمته.

أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله؛ وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لأصاحبها؛ وإني لأنظر الدماء بين العمائم واللحى تترقق:

قد شمَّرت عن ساقها فشمَّرت

ثم قال:

هذا أوان الشدِّ فاشتدِّي زيمٌ<sup>(1)</sup> قد لَفَّها الليل بسواقِ حُظْمٍ<sup>(2)</sup>  
ليس براعي إبلي ولا غنمٍ ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضمٍ<sup>(3)</sup>  
[من الرجز]

ثم قال:

قد لَفَّها الليل بَعْضَلْبِي<sup>(4)</sup> أروعَ خراجٍ من السدويِّ  
مهاجرٍ ليس بأعرابيِّ  
[من السريع]

ثم قال:

قد شمَّرت عن ساقها فشدُّوا ما علَّتي وأنا شيخٌ إد  
والقوسُ فيها وتَرُّ عُرْدٌ<sup>(5)</sup> مثل ذراعِ البكر أو أشدُّ  
[من الرجز]

إني والله يا أهل العراق، ومعدن الثقاق والنفاق، ومساويء الأخلاق، لا يُغمز جانبي كتُعماز التَّين، ولا يُقعقع<sup>(6)</sup> لي بالشنان؛ ولقد فُرتُّ عن ذكاء، وفتَّشتُ عن تجربة، وأجريت إلى الغاية القصوى؛ وإنَّ أمير المؤمنين نثرَ كنانته بين يديه ثم عجم<sup>(7)</sup> عيدانها، فوجدني أمرها عوداً وأشدّها مكرراً، فوجهني إليكم، ورماكم بي، فإنكم قد طالما أوضعتم في الفتن وسنتم سنن الغي؛ وأيم الله لألحونَّكم لحو<sup>(8)</sup> العصا،

(1) الزيمة جمع زيم: القطعة من اللحم ونحوه.

(2) الحُظْم: الراعي العوف العنيف.

(3) الوضم: ما يضع عليه الجزار اللحم من خشب ونحوه.

(4) العُضْب والعُصْلبي: القوي العظيم من الرجال.

(5) العُرد: الصلب الشديد.

(6) يقال: فلان لا يقعقع له بالشنان: لا يُخدع ولا يُرْوَع.

(7) عَجَم الشيء: امتحنه واختبره.

(8) لحى الشجرة والعصا: قشرها.

ولأقرعنكم قرع المزوة<sup>(1)</sup>، ولأعصبنكم عصب السَّلْمَة<sup>(2)</sup>، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل؛ أما والله لا أعد إلا وفيت؛ ولا أخلق إلا قرئت؛ فإياي وهذه الشفعاء، والزرافات والجماعات، وقالاً وقيلاً. وما يقولون؛ وفيم أنتم وذاك؟ والله لتستقمن على طريق الحق، أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً في جسده! من وجدته بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه، وانتهبت ماله وهدمت منزله.

فشمّر الناس بالخروج إلى المهلب؛ فلما رأى المهلب ذلك قال: لقد ولي العراق خير ذكر.

### خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم ﷺ إلى نفسه فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]؛ وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144] فمات رسول الله ﷺ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية؛ ثم وليكم البازل الذكر الذي جرّبته الأمور، وأحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة، واللين لأهل الحق، والوطاء لأهل الزيغ؛ فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين؛ فاختر الله له ما عنده، وألحقه بهم، وعهد إلى شبيهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته؛ فاسمعوا له وأطيعوه.

أيها الناس؛ إياكم والزيغ؛ فإن الزيغ لا يحقيق إلا بأهله؛ ورأيتم سيرتي فيكم، وعرفت خلافتكم، وقبلكم على معرفتي بكم؛ ولو علمت أن أحداً أقوى عليكم مني، أو أعرف بكم، ما وليتكم؛ فإياي وإياكم؛ من تكلم قتلناه؛ ومن سكت مات بدائه غمماً! ثم نزل.

### خطبة الحجاج لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد

أيها الناس، محمّدان في يوم واحد! أما والله لقد كنت أحب أنهما معي في الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة؛ وأيم الله ليوشكن الباقي مني ومنكم أن يفنى، والجديد مني ومنكم أن يبلى، والحي مني ومنكم أن يموت؛ وأن تُدال<sup>(3)</sup> الأرض منا كما أدلنا منها؛ فتأكل من لحومنا؛ وتشرب من دمائنا؛ كما مشينا على

(1) المروءة: حجارة بيض رفاق براقه تقدح منها النار.

(2) السَّلْمَة: شجر من العضاة يدبغ به.

(3) دال الدهر: انتقل من حال إلى حال، والأيام: دارت.

ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشرينا من مائها؛ ثم يكون كما قال الله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: 51]. ثم تمثل بهذين البيتين:  
عَزَائِي نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيْتٍ      وَحُسْبِي ثَوَابُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ  
إِذَا مَا لَقَيْتُ اللَّهَ عَنِي رَاضِيًا      فَإِنَّ سُورَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكَ

### خطبة عائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل

قالت: أيها الناس صه صه؛ إن لي عليكم حق الأمومة، وحق الموعدة؛ لا يتهمني إلا من عصى ربه؛ مات رسول الله ﷺ بين سحري<sup>(1)</sup> ونحري؛ فأنا إحدى نسائه في الجنة، له أذخري ربي وخلصني من كل بضع<sup>(2)</sup>؛ وبني ميمز مؤمنكم من منافقكم، وبني أرخص الله لكم في صعيد الأبواء؛ ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما؛ وأول من سمي صديقاً، مضى رسول الله ﷺ راضياً عنه؛ وطوقه أعباء الإمامة، ثم اضطرب حبل الدين بعده؛ فمسك أبي بطرفيه، ورتق لكم فتق النفاق، وأغاض<sup>(3)</sup> نبع الردة، وأطفأ ما حشيت<sup>(4)</sup> يهود؛ وأنتم يومئذ جحظ العيون، تنظرون العدو، وتسمعون الصيحة؛ فرأب الثأري<sup>(5)</sup>، وأود<sup>(6)</sup> من الغلظة، وامتاح<sup>(7)</sup> من الهوة؛ حتى اجتحي<sup>(8)</sup> دفين الداء؛ وحتى أعطن<sup>(9)</sup> الوارد، وأورد الصادر، وعلّ الناهل؛ فقبضه الله إليه واطئاً على هامات النفاق، مذكياً نار الحرب للمشركين؛ فانتظمت طاعتكم بحبله؛ فولي أمركم رجلاً مرعياً إذا ركن إليه، بعيداً ما بين اللابتين إذا ضلّ، عركة<sup>(10)</sup> للأداة بجنبه صفوحاً عن أداة الجاهلين، يقظان الليل في نصرة الإسلام؛ فسلك مسلك سابقه؛ ففرق شمل الفتنة، وجمع أعضاد ما جمع القرآن، وأنا نصب<sup>(11)</sup> المسألة عن مسيري هذا؛ لم ألتمس إثماً، ولم أورث فتنة أوطئكموها؛ أقول قولِي هذا صدقاً وعدلاً، وإعذاراً وإنذاراً؛ وأسأل الله أن يصلي على محمد، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين.

(1) السحر: الرثة. «ومات بين سحري ونحري» أي وهو مستد إلى صدري.

(2) البضع: الزواج وعقده.

(3) أغاض الماء: أنقصه.

(4) حشت: ملأت.

(5) الثأري: الجرح.

(6) الأود: الاعوجاج. يقال: قوم أوده: أي اعوجاجه.

(7) امتاح: متح الشيء: قلعه. ويقال: متح فلان الدلو: جذب رشاءها.

(8) اجتحي: استأصل وقلع.

(9) أعطن الإبل: أراحها بعد الورود لتعود فتشرب.

(10) العركة: الذي يعرك الأذى بمعنى يحتمله.

(11) النصب: المنصب.

obeikandi.com

## فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آداب السلوك، تأليف الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني قدس الله سره، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، قدم له الأستاذ محمد زكريا الزعيم، دار السنابل.
- أحسن المحاسن، لأبي إسحاق الرقي، نشر المكتبة السلفية بمكة ط1 (1970م).
- أخبار أبي حنيفة، للصيرمي، حيدر آباد، الهند (1974م).
- أخبار النساء، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1410هـ، 1990م).
- أخلاق العلماء، للأجري، مكتبة العرفان، دمشق (1972م).
- أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني، ليدن (1952م).
- أدب الدنيا والدين، تأليف الإمام أبي الحسن الماوردي الشافعي، تحقيق ياسين محمد السواس دار ابن كثير - دمشق/ بيروت، الطبعة الثانية (1415هـ، 1995م).
- الأدب المفرد للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية (1409هـ، 1989م).
- الأذكار، للنووي، مطبعة الملاح، حققه الشيخ عبد القادر أرناؤوط، (1391هـ، 1971م).
- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، أحمد سعيد الدجوي، دار إقبال، ط1، (1416هـ، 1996م).
- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، (1411هـ، 1991م).
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، مطبعة بولاق، مصر (1323هـ).

- إعلام الأنام بفضائل وأحكام الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، عبد الله محمد عكور، ط 1 (1416 هـ - 1995 م)، مطبعة البهجة أربد/ الأردن.
- إغاثة الطالبين، البكري، إحياء التراث العربي، بيروت.
- إغاثة اللهفان، ابن القيم، مطبعة مصطفى بابي الحلبي.
- إقامة الحجة، الإمام اللكفوي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب (1996م).
- إقامة الصلاة وأسرارها، يوسف خطار محمد، مطبعة نضر ط 1، (1999 م).
- الاستعداد للموت وسؤال القبر، تأليف زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي المعبري المليباري من علماء القرن العاشر الهجري، دار الترمذي، الطبعة الأولى، (1411 هـ، 1990 م)، سوريا.
- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
- بر الوالدين، تأليف محمد شريف الصواف، دار السنابل، ط 1 (1417 هـ، 1996م).
- البركة في فضل السعي والحركة، لأبي عبد الله محمد الجيش، دار المعرفة (1406هـ).
- البرهان المؤيد للسيد الإمام أحمد الرفاعي - قدس الله سره - تحقيق عبد الله علي مسعود، دار الأنصاري/ حلب.
- بستان العارفين، للنووي، مطبعة إدارة الطباعة المنبرية، (1348 هـ).
- البصائر في تذكير العشائر، لمحمد عبد الحي الورتي، المكتبة العلمية في المدينة المنورة.
- بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي - دار الكتب العلمية بيروت/ لبنان.
- بين التصوف والحياة، تأليف الشيخ عبد الباري الندوي، مكتبة دار الفتح ط 1 (1963 م).
- تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطي، مطبعة السعادة، مصر (1952 م).
- التاريخ الصغير، للبخاري، الهند (1380 هـ).
- تاريخ بغداد، للخطيب، دار الكتب العلمية.
- تثبيت الفؤاد، الشيخ عبد الله الحداد رحمه الله تعالى. ط 1، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

- تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذى، للمباركفوري، مطبعة الاعتماد في القاهرة.
- التحفة المستطابة في كرامات بعض الصحابة، حلب (1390 هـ).
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام القرطبي، دار الرياض، ط 2 (1407 هـ).
- ترتيب مختار الصحاح، للرازي، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر (1414 هـ، 1993 م).
- الترغيب والترهيب، للمنذري، دار إحياء التراث العربي بيروت (1968 م).
- تزكية النفوس، جمع وترتيب وتحقيق أحمد فريد، دار القلم، بيروت/ لبنان.
- تسلية أهل المصائب، محمد المنبجي، دار البيان، ط 3 (1413 هـ، 1992 م).
- التعرف لمذهب أهل التصوف، تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ضبط أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى (1413 هـ، 1993 م).
- تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، (1984م).
- تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل، القاسمي: محمد جمال الدين. ط 1، (1415 هـ، 1995 م).
- تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر، بيروت، (1412 هـ، 1992 م).
- تفسير القرآن الكريم، الشيخ محمد علي طه الدرة. دار الحكمة دمشق، بيروت ط 1 (1412 هـ، 1991 م).
- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، تأليف محمود الألوسي البغدادي. دار الفكر بيروت (1408 هـ، 1987 م).
- تنبيه الغافلين تأليف الإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد الحنفي السمرقندي حققه وعلق عليه يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية (1415 هـ، 1995 م).
- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للزملكاني.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار صادر، بيروت (1968 م).

- الجامع الصغير، للسيوطي، تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد، دار خدمات القرآن.
- جامع العلوم والحكم، ابن جب الحنبلي، تحقيق شعيب أرنؤوط وإبراهيم باجي، دار الرسالة ط2، (1412 هـ، 1991 م).
- جامع بيان العلم، لابن عبد البر، المنيرية مصر ط1 (1407 هـ).
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت (1985 م).
- الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب، الرسالة ط1 (1412 هـ).
- جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام ﷺ، لابن القيم الجوزية.
- الجهاد في الإسلام، الدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر دمشق، سورية ط1، (1414 هـ، 1993 م).
- الجواهر اللؤلؤية، محمد بن عبد الله الجرداني، دار كرم، دمشق.
- الحاوي للفتاوى، للشيخ جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، تحقيق محمد عبد الحميد (1411 هـ، 1990 م).
- حقائق عن التصوف، للشيخ عبد القادر عيسى. الطبعة الخامسة (1414 هـ، 1993 م).
- الحقيقة الباهرة، الشيخ أبو الهدي رضي الله عنه.
- حقيقة الصوفية، تأليف أبي سعيد التونسي، مكتبة الفارابي، دمشق.
- حكايا الصوفية، تأليف الطبيب الشيخ محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله، دار البشائر، دمشق.
- الحكايات المثورة، للحافظ ضياء الدين المقدسي.
- حكم ابن عطاء الله الكندري، عبد المجيد الشرنوبلي، علق عليه الدكتور عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، (1992 م).
- الحكم الإلهية، الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى، مطبعة كرم.
- حكم السيد أحمد الرفاعي (قدس الله سره)، حققه وعلق عليه عبد الغني نكة مي، دار الكتاب النفيس، ط1 (1408 هـ).
- الحكم العطائية، للإمام ابن عطاء الله الكندري، (1406 هـ، 1386 م) ط2 ضبط وتقديم الشيخ إبراهيم اليعقوبي.

- حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه، يوسف خطار محمد، مطبعة نضر، دمشق ط1، (1999م).
- حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر بيروت، لبنان.
- حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الفكر.
- حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الريان، ط1، (1408 هـ، 1987م).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ السيوطي، المطبعة الميمنية.
- الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود، ابن حجر الهيثمي دار المدينة المنورة، ط2، (1416 هـ، 1995 م).
- دلائل النبوة، لأحمد بن الحين البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت (1405هـ).
- ذم الكذب وأهله، تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، دار السنابل الطبعة الأولى (1414 هـ، 1993 م)، دمشق.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله.
- الرعاية لحقوق الله، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4.
- الروح، لابن قيم، تحقيق يوسف علي بديوي، دار ابن كثير.
- الروض الفائق في المواعظ والرقائق، العلامة الشيخ الحريفيش، دار البشائر دمشق، ط1، (1412 هـ، 1992 م) تحقيق وتدقيق الشيخ خالد العك.
- روضة العقلاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، شرح وتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية (1397 هـ، 1977 م).
- الزاد المفيد لأحوال يوم الوعيد، يوسف خطار محمد، ط1 (1419 هـ، 1999 م).
- الزهد، لأحمد بن حنبل، دار الكتاب العربي، تحقيق بسيوني، ط1 (1406 هـ).
- الزواجر على اقتراف الكبائر، تأليف الشيخ ابن حجر الهيثمي، مطبعة البابي (1398 هـ، 1987 م).
- سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين، العلامة يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت.

- سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص، تأليف محمد الحجّار، الطبعة السابعة، (1411 هـ - 1991 م)، دار البشائر الإسلامية بيروت، لبنان.
- سنن أبي داود، تعليق محي الدين عبد المجيد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن الدارقطني وبذيله التعليق المغني على الدارقطني، لأبي الطيب محمد آبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان (1413 هـ، 1993 م).
- سنن الدارمي، دار الريان (1407 هـ)، دار الفكر.
- سنن النسائي، دار البشائر الإسلامية ط3، (1409 هـ).
- سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط1 (1414 هـ، 1994 م).
- السير والمساعي في أورد وأحزاب الرفاعي قدس الله سره، جمعه ورتبه السيد إبراهيم الراوي. ط1، (1413 هـ، 1992 م).
- السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية (للمؤلف) الطبعة الأولى، تنفيذ المركز العربي دمشق (1998 م).
- سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم، المكتبة العربية دمشق (1966 م).
- شذرات الذهب، لابن العماد الدمشقي، دار ابن كثير. دمشق بيروت ط1 (1413 هـ، 1992 م).
- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تأليف الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي شرح وتعليق محمد حسن الحمصي، دار الرشيد (1406 هـ، 1986 م).
- شرح رسالة المترشدين، لأبي عبد الله الحارث المحاسبي تحقيق العلامة الشيخ عبد القتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، الطبعة الثامنة، بيروت.
- شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط1 (1414 هـ، 1994 م).
- شرح كتاب الفقه الأكبر، الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1404 هـ، 1984 م).
- شعب الإيمان للصاغرجي، دار الكلم الطيب دمشق - بيروت، ط1، (1418 هـ، 1997 م).

- شعب الإيمان، لأحمد بن حسين البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية (1410 هـ).
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للشيخ علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب أرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة (1414 هـ، 1993 م).
- صحيح ابن خزيمة تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية (1412 هـ، 1992 م).
- صحيح البخاري، مطبعة بولاق بمصر (1314 هـ).
- صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.
- الصدق منجاة وويل للكاذبين، للدكتور صبري أحمد الإبراهيم، الطبعة الأولى (1415 هـ، 1995 م)، مكتبة الفارابي، دمشق.
- صفة الصفوة، لابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق محمود فاخوري، تخريج محمد قلعة جي، ط3، (1405 هـ، 1985 م).
- صفحات مشرقة من حياة السابقين، جمع وتصنيف نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية ط2، (1415 هـ، 1994 م).
- الصلاة على النبي، للشيخ عبد الله سراج الدين.
- الصلاة والتهجد، ابن الخراط، تحقيق عادل أبو المعاطي، نشر دار الوفاء، المنصورة.
- صون الإيمان من عشرات اللسان، محمد أديب كلكل، تقديم محمد منير لطفي، ط3، المطبعة العلمية، (1413 هـ، 1993 م).
- صيد القلم، خالد سيدي علي، الإمامة دمشق - بيروت، مكتبة التراث والإيمان الكويت ط1، (1418 هـ، 1998 م).
- الطب النبوي، للشيخ ابن قيم الجوزية، علق عليه وخرّج أحاديثه الشيخ شعيب أرنؤوط والشيخ عبد القادر أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية (1402 هـ، 1982 م)، ط2.
- طبقات ابن سعد، دار صادر.
- طبقات الشافعية الكبرى، للبيهي، البابي الحلبي، الطبعة المحققة (1998 م).
- طبقات الصوفية، الإمام السلمي، تحقيق نور الدين شريفة، دار الكتاب النفيس، ط2، (1406 هـ، 1986 م).
- طلب العلم، الشيخ أسعد الصاغرجي، ط1، مطبعة الشام، دمشق (1415 هـ، 1994 م).

- العقد الفريد، لابن عبد ربه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (1965 م).
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، إدارة الطباعة المنيرية (1348 هـ).
- عمل اليوم والليلة، لأبي بكر ابن السني. مكتب الكليات الأزهرية (1389 هـ).
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح ابن قيم الجوزية.
- عيادة المريض، الشيخ أسعد الصاغر جي، ط1، مطبعة الشام، دمشق (1415 هـ - 1994 م).
- عيون الأخبار لابن قتيبة وزارة الثقافة والإرشاد، مصر (1963 م).
- غرائب الأخبار من حياة الملق والأخبار بقلم خالد سيد علي، الطبعة الأولى (1410 هـ، 1990 م)، مكتبة دار التراث، الكويت.
- الغنية لطالبي طريق الحق، للشيخ عبد القادر الجيلاني، دار الكوثر (1996 م).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة البابي الحلبي، القاهرة (1385 هـ).
- الفتح الرباني، عبد القادر الجيلاني، دار المعرفة.
- فتوح الغيب، للشيخ عبد القادر الجيلاني، مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر (1330 هـ).
- الفروق، للقرافي، دار إحياء الكتب العربية.
- فقه السيرة النبوية، للدكتور البوطي، دار الفكر (بيروت - دمشق) ط10، (1411 هـ، 1991 م).
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الحديث، القاهرة (1093 هـ).
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط4 (1415 هـ، 1994 م).
- قطوف دانية من شجرة الحكم العالية، الشيخ الطيب محمد أبو اليسر عابدين. دار البشائر، ط1، (1983 م).
- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، تأليف العلامة المحدث أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المغربي رحمه الله، ضبط وتعليق فضيلة العلامة إبراهيم اليعقوبي، مطبعة الملاح.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، للشيخ أبي طالب المكي تحقيق سعيد نصيب مكارم، الطبعة الأولى

- (1995 م)، دار صادر، بيروت/ لبنان.
- الكامل لابن عدي، دار الفكر، ط3 (1409 هـ).
  - كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، محمد بن سعود العريفي، دار عالم الفوائد ط1، (1418 هـ).
  - كتاب التوابين، تأليف الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، حققه وعلق عليه عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية (1389 هـ، 1969 م).
  - كرامات الأولياء، تأليف الشيخ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال حققه وعلق عليه عبد الجليل العطا، ط2، (1412 هـ، 1992 م).
  - الكفاية في علم الرواية، للخطيب، حيدر آباد، الهند (1357 هـ).
  - كنز العمال، لعلاء الدين الهندي، دار البلاغة بحلب (1390 هـ).
  - اللباس والزينة، الشيخ أسعد الصاغرجي، ط1، مطبعة الشام، دمشق (1415 هـ، 1994 م).
  - لسان العرب، لابن منظور، بولاق، المطبعة المحمودية بمصر (1290 هـ).
  - لطائف المعارف، للشيخ ابن رجب الحنبلي، حققه ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، ط3 (1411 هـ، 1995 م).
  - اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، حققه وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر.
  - مجمع الزوائد، للهيتمي، دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة (1402 هـ، 1982 م).
  - المجموع (شرح المذهب)، للإمام النووي، دار الفكر، ويليه فتح العزيز الوجيز ويليه التلخيص الخبير لابن حجر العسقلاني.
  - مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، ط1 (1398 هـ).
  - المجموعة النادرة لأبناء الآخرة، السيد محمد مهدي الرواس، تحقيق وجمع الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط رحمه الله تعالى، دار البشائر.
  - محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني، المطبعة الشرفية (1326 هـ).
  - محبة النبي ﷺ وطاعته، خليل إبراهيم الغرامي، دار القلم حلب ط1 (1417 هـ، 1996 م).
  - المحدث الفاصل، للرامهرمزي، دار الفكر، ط2 (1404 هـ).

- مختصر جامع بيان العلم وفضله، اختصره أحمد البيروتي.
- مختصر رونق المجالس، عثمان بن يحيى الميري، دار الإيمان (1415 هـ، 1985م).
- مختصر قيام الليل، للمروزي، نشر حديث أكاديمي باكستان.
- مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، دار الهجرة، تحقيق شعيب أرناؤوط.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق عماد عامر، الطبعة الأولى (1416 هـ، 1996م)، دار الحديث، القاهرة.
- المذاكرة مع المحيين من أهل الخير والدين، الشيخ عبد الله علوي، عني بها الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط رحمه الله تعالى.
- مستدرك الحاكم، النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.
- المتطرف في كل فن متطرف، للإمام العالم شهاب الدين بن محمد الأبشي، تحقيق الدكتور عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان.
- مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى.
- مسند الإمام أحمد، ط2 (1398 هـ) المكتب الإسلامي، بيروت.
- مسند البزار، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، مكتبة العلوم المدينة المنورة، ط1 (1409 هـ).
- مسند الشهاب، للقساضي، الرسالة، الطبعة الثانية (1407 هـ).
- مصنف ابن أبي شيبة الكوفي العبي، دار الفكر، تعليق سعيد اللحام (1414 هـ، 1994م).
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- المعجم الأوسط للطبراني، مكتبة المعارف، تحقيق الطحان.
- المعجم الكبير للطبراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لفؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، ط2 (1411 هـ، 1991م).
- معجم حكمة العرب، إعداد أمل شلق، دار الكتب العلمية بيروت (1411 هـ، 1991م)، ط1.

- المعلقات العشر: دراسة ونصوص، فوزي عطوي، الشركة اللبنانية، بيروت.
- المغني، لابن قدامة المقدسي، تحقيق د: عبد الله التركي، د: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، ط2 (1413 هـ، 1992 م).
- المقاصد الحسنة، للخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1 (1407 هـ، 1987 م).
- مكاشفة القلوب، للإمام الغزالي، دار إحياء العلوم. بيروت، ط1 (1403 هـ، 1983 م).
- من مشكات النبوة، شرح الأربعين النووية، تحقيق وشرح العلامة الشيخ صالح الفرفور، ط1، (1389 هـ، 1968 م).
- مناقب الشافعي، لليهقي، دار التراث، مصر.
- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، دار ابن كثير، ط6 (1417 هـ، 1996 م).
- مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين، تأليف أحمد رضوان أبو الخير دار أم البنين، القاهرة.
- الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، يوسف خطار محمد ط1، دار كنان.
- الموطأ، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.
- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تأليف العلامة محمد جمال القاسمي. دار النفائس ط3، (1404 هـ، 1984 م).
- نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للعلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي، دار المحبة، مراجعة عبد الرحيم مارديني، الطبعة الأولى (1413 هـ).
- نشر العلم، الشيخ أسد الصاغرجي، ط1، مطبعة الشام، دمشق (1415 هـ، 1994 م).
- نشر المحاسن الغالية، اليافعي، دار الكتب العربية بمصر (1329 هـ).
- نشر وطى التعريف في فضل حملة العلم الشريف، العلامة جمال الدين الحبيشي، دار المنهاج، ط1، (1417 هـ، 1997 م).
- النظام الخاص لأهل الاختصاص، الإمام الرفاعي، حققه وعلق عليه عبد الغني، دار الكتاب النفيس. ط2، (1414 هـ).
- نور التحقيق، حامد صقر، دار التأليف بمصر (1369 هـ).

- هكذا تكلم الأولياء والصالحون، جمع أحمد حسين كعكو، تحقيق حمدي زمزم، دار الإيمان، الطبعة 1 (1410 هـ، 1990 م).
- وأخلص العمل فإن الناقد بصير، تأليف عبد الرحمن السنجري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، (1416 هـ، 1996 م) بيروت/ لبنان.
- وصايا ومواعظ العلماء للأمرء، بقلم خالد سيد علي، الطبعة الأولى (1410 هـ، 1990 م)، دار التراث، الكويت.
- الوصايا، للحارث المحاسبي. مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة (1384 هـ).
- وفيات الأعيان لابن خلكان، دار صادر، بيروت.
- اليواقيت والجواهر، الشعراني، دار الأزهرية المصرية (1305 هـ).